شعر لبيد الإسلامي

بين المعارضين والمؤيدين

دكتور/ أحمد عبد المنعم أحمد العسيلي
مدرس الأدب والنقد بالكلية

تعريف موجز بالشاعر :

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن مضر(١) .

ويفتخر لبيد في أرجوزة له بقوله : « نحن بنو أم البنين الأربعة »، وأم البنين هي ليلى بنت عمرو بن عامر تزوجها مالك بن جعفر فولدت خمسة من الأبناء — لا أربعة كما ذكر لبيد — وهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، والطفيل ، وسلمى ، ومعاوية ، وربيعة الذي عرف بلقب ربيعة المقترين أو ربيع المقترين وهو والد لبيد الذي يفتخر به في شعره دون أن يعرفه لأنه قتل في يوم ذي علق وقتله منقذ بن طريف الأسدي ولبيد صغير السن وعمره تسع سنوات .

أما أمه فهي تامر بنت زنباع بن عيسى تزوجها أولا قيس بن جزء ابن خالد بن جعفر فولدت له « أربد » ثم خلفه عليها ربيعة فولدت لبيدا(٢) .

---

(١) انظر جمهرة أشعار العرب ص ٨٤ وما بعدها ، الأغاني ١٥/٢٩١ دار الثقافة ، طبقات فحول الشعراء ١/١٤٣ لابن سلام .

(٢) انظر الديوان ص ٥ ، جمهرة أنساب العرب ٢/٢٨٤ تحقيق عبد السلام هارون .

وقبيلة بنو عامر من كبريات القبـائل التى سـكنت نجد ويرجع نسبها كما ورد فى جمهرة أنساب العرب الى قيس عيلان بن مضر(٣) ٠

وقيس بن عيلان هـذه تشغل رقعة كبيرة من منطقة نجـد حتى الحجاز وتتفرع منها قبائل كثيرة منـذ القرن الخـامس والسادس من الميلاد حتى ظهور الاسلام لدى الجزيرة العربية وأكبر القبائل القيسية هما : غطفان بفرعيها المهمين عيسى وذبيان ، وبنو عامر بن صعصعة من هوازن قبيلة لبيـد الشاعر(٤) ٠

نشأ لبيد فى كنف عمه عامر بن مالك بن جعفر فهو وليه بعد أن فقـد أباه ، أما ميلاده فلا نستطيع أن نحدد تاريخ هـذا اليوم تحديدا دقيقا ــ كما ذكر محقق الديوان ٠

وربما كان مولده فى حدود سـنة ٥٤٥م ٠ أو أكثر أو أقل اذا صحت الرواية التى تروى بيت لبيد على النحو التالى :

« وغنيت حرسا قبل مجرى داحس ، ولو قدرنا أن حرب داحس ثارت حوالى منتصف القرن السادس ، ولم يشترك فيها لبيد لأنه كان ــ فيما يبدو ــ مايزال صغير السن »(٥) ٠

وقيل إن ميلاده كان سـنة ٥٦١م ٠ ووفد على النعمان بن المنذر سنة ٥٨٢ ، وكان عمره آنذاك احدى وعشرين سنة على التقريب وأن

---

(٣) انظر جمهرة أنسـاب العرب ص ٢٧٢ ٠

(٤) انظر لبيـد للدكتور يحيى الجبورى ص ١٧ ط // دار القلم ــ الكويت سـنة ١٩٨٣م ٠

(٥) راجع الديوان ص ٦ دار الصادر بيروت ٠

عمره عند ظهور الاسلام كان سنه ٤٩ وعمره عند اسلامه ٦٨ سنة ، ويذكر أن وفاته فى أول خلافة معاوية سنة احدى وأربعين »(٦) .

ويروى صاحب الأغانى أن لبيدا بن ربيعة قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ فى وفد بنى كلاب بعد وفاة أخيه « أريد » وعامر بن الطفيل فأسلم ، وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فأقام بها ومات بها هناك فى آخر أيام معاوية بن أبى سفيان وكان عمره مائة وخمسا وأربعين سنة منها تسعون فى الجاهلية وبقيتها فى الاسلام(٧) .

ويرى أن منيته أدركته فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ بعد أن أوصى أن يسجى بثوبه وتستقبل به القبلة وتحمل جفنتاه الى المسجد ليطعم الناس منهما ، وقد اختلف فى عمره يوم ما مات فهو فى رأى الكثيرين ١٥٧ سنة وفى رأى المقللين لا يقل عن ١١٠ من السنوات(٨) .

وقال ابن سلام : وعمر عمرا طويلا وكان فى الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم(٩) .

فالجميع يشهد بأن الشاعر لبيد كان أحد المعمرين وقيل أنه لم

---

(٦) انظر لبيد ص ١٥٧ وما بعدها د/ يحيى الجبورى .
(٧) الأغانى ١٥/٢٩٢ لابى فرج الأصفهانى ط المكتب ط سادسة .
(٨) الديوان ص ١١ دار الصادر بيروت .
(٩) طبقات فحول الشعراء ١/١٣٦ تحقيق شاكر مطبعة المدنى .

يمت حتى حرمت عليه مائة امرأة من بنى عامر ، وهو الذى جـــاوز تسعين حجة(١٠) وفى ذلك يقول :

كأنى وقــد جاوزت تســعين حجــة
خلعت عذارى أو فضضت لجـــامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمــى وليس برامـــى

وحين بلغ مائة ســنة وعشرين قال :

وغنيت دهــرا قبــل مجرى داحس
لو كان للنفس اللجـــوج خلـــود

وقال حين بلغ أربعين ومائة :

ولقــد سئمت الحيــاة وطولهــا
وسؤال هــذا الناس كيف لبيــد
غاب الزمــان وكان غــير مغلــب
دهــر طــويل دائم محـــدود
يوم اذا يأتى عليــه وليــلة
وكلاهما بعــد انقضــاه يعــود

ويحكى أنه لمــا حضرته الوفاة دعا بابن له فقال : يابنى ان أباك لم يمت ولكن توفى فاذا قبض أبوك فاغمضه واستقبل به القبلة ووشحه بثوبه ولا تصح عليــه صائحة ولا تبكى عليه باكية(١١) .

---

(١٠) جمهرة أشعار العرب ص ٨٤ لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ط / الأميرية بولاق سنة ١٣١٨هـ .

(١١) المرجع الســابق .

ثم أنشأ لبيـــد يقول :

واذا دفنت أبـــاك فاجـــ ـــعل فوقه خشبا وطينـــا
وصـــــفائحا صـــــما زوا سيها يســـدرن الغصونا
ويقين حـــر الوجه شمسا والتـــراب ولن يقينا(١٢)

---

(١٢) المصدر السابق ص ٨٦ .

حيـــاة لبيد ومكانته فى الجاهلية :

ان حياة لبيد فى الجاهلية يكتنفها بعض الغموض فأخبـــاره تكاد تكون قليلة ان لم تكن نادرة مقارنة بغـــيره من الشـــعراء الجاهليين ، ولكن لبيد يعـــد من فرسان قومه وهو معروف بالشجاعة والاقدام كما تذكر المصادر بأنه كان « أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها .. وهو من أشرف الشعراء المجيدين الفرسان »(١) .

وقال عنه ابن سلام : « وكان لبيد بن ربيعة أبو عقيل فارســـا شاعرا شجاعا وكان عذب المنطق رقيق حواشى الكلام »(٢) .

وقال عنه فى موضع آخر : وكان فى الجاهلية خير شاعر لقـــومه يمـــدحهم ويرثيهم ويعـــــد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم وكان يطعم ما هبت الصـــــبا(٣) .

ومن المعروف أن لبيدا كان من عشيرة ذات ســـيادة وشرف وهى عشيرة بنى جعفر ، وقد اشتهر فيها ربيعة والد لبيد وأعمامه الطفيل ، وأبو براء ومعاوية وعميرة بن مالك وسلمى وعمرو وعتبة(٤) ولكل واحد منهم قصص تصور شجاعته وقد نشأ لبيد يشعر شعورا صادقا وعميقا بكرامة أسرته وأمجادها ومناقبها وأخذ يصور بطولات أهله منذ نطق لسانه بالشعر فصور عشيرته به وبطولاتها وانتصاراتها وكان يفخـــر

---

(١) الأغانى ١٥/٢٩١ دار الثقافة ، الاصابة ٥/٦٧٨ .
(٢) طبقات فحول الشعراء ١/١٣٥ . تحقيق محمد شاكر .
(٣) المصدر الســابق ١/١٣٦ .
(٤) انظر جمهرة أنساب العرب ٢/٢٨٥ .

بقومه ويعتز ويعتد بهم ، ويقال أنه كان يكتمه في أول الأمر حتى اذا نظم معلقته : « عفت الديار محلها فمقامها أخذ يظهره وبدأ اسمه يطير في القبائل »(٥) .

ومما يدل على حبه لقومه ، واعتزازه بهم وحرصه على اتحادهم دعوته الى المحافظة على علاقات الود والروابط التى تجمع شمل القبيلة ويقول لهم :

ويوم منعت الحى أن يتفرقوا بنجران فقرى ذلك اليوم فاقر(٦)

وحدث ذلك عندما ارتحل مع قومه بنى جعفر عن ديارهم قاصدين أرض نجران ، ويقال ان بنى عامر أقاموا فى منفاهم حولا ، ويدل شعر لبيد على أن بعض المشكلات فى ذلك المنفى كادت تفرق بينهم وأنه كان له الفضل فى توحيد الكلمة والمحافظة على روابط القربة وأخذ يتحدث الى بنى بكر ويذكرهم بأن المحافظة على العلاقات أمر مهم فقال :

فأبلغ بنى بكر اذا ما لقيتهم
على خير ما يلقى به من ترعما
أبونا أبوكم والأواصر بيننا
قريب ولم نأمر منيعا ليأثما
فان تقبلوا المعروف نصبر لحقكم
وان يعدم المعروف خفا ومنسما(٧)

---

(٥) انظر العصر الاسلامى ص ٩٠ د/ شوقى ضيف دار المعارف .
(٦) الديوان ص ٦ .
(٧) الديوان ص ٧ .

وهـذا يدل على أن الشاعر كانت له أيادى بيض فى جمع شـمل العشيرة فهو يكرس جهده ووقته لجمع قومه أولا ثم بعـد ذلك يستطيع بهذا الجمع أن يحافظ على كيان القبيلة وأن يجعـل أيامها سلسلة من البطولات ويكون هو فى المقـدمة •

كذلك عرف عنه الكثير من مواقف المروءة والكرم واذا أردنا أن نتعرف عليها فنجد فى بطون الكتب العديد من القصص التى تذكر ذلك وتؤكده(٨) •

واذا كانت أيام الشاعر سلسلة من البطولات فى السلم ينحـر ويكرم ويطعم ويمد يده للفقراء والمحتاجين كما ذكر :

وغداة ريح قـد وزعت وقـرة
اذا أصبحت بيد الشمال زمامها(٩)

هـذا فى وقت السـلم واذا كان الكرم من مظـاهر البطولة فى السلم فكذلك الوقوف بجانب القبيلة وحمايتها فضيلة من أعلى الفضائل فى ذلك العصر بل وفى كل العصور يصور ذلك لبيد عندما يحس بمـا يفرضه عليه الواجب ــ واجبه تجاه قومه :

---

(٨) انظر الأغانى ١٥/٢٩٩ ، جمهرة أشعار العرب ٨٣ ــ ٨٤ تحقيق على محمد البجاوى دار نهضة مصر ، الشعر والشعراء ١/٢٨٣ •
(٩) الديوان ص ١٧٦ •

ولقد حميت الحـــى تحـــمل شـــكتى
فرط وشاحى اذ غدوت لجامها(١٠)

فالشاعر يسرع ويستعد للحرب فيرتدى ثياب القتال ويلقى بلجام فرسه حتى يصير مثل الوشاح وهـــذا يدل على أنه على أهبة الاستعداد ومهيئا للانطلاق فى أى اتجاه وفى كل اتجاه والشاعر لا يقنع بمجـــرد الدفاع عن القبيلة شـــأنه شـــأن غيره من الفرســـان ، ولكن أراد أن يكون عين قومه على الأعداء يرصد حركاتهم وتحركاتهم ويكشف لهم مالم يستطع غيره من الفرسان عمله رغم ما يتجشـــمه من صـــعوبات ومخاطر وهو بمفرده على أعلى قمم الجبال يرقب أماكن تجمع الأعداء ويشرف منها على كل كتائب العـــدو •

فعلوت مرتقبا على ذى هبوة حرج الى اعلامهن قتامها(١١)

وهـــذه المهمة لا يصلح لها العديد من الفرسان لخطورتها ولا ينجح فيها الا من كان على درجة من الوعى وسرعة البديهة ويقظة نادرة ، لأنه هو المحرك الأول للمعركة وهو الذى يعطى اشارة البدء لقومه متى وجد المصلحة الى ذلك ، ولبيد هنا يفخر أولا بنفسه بصفة خاصـــة وبقومه بصفة عامة فهو يعـــرض علينا هـــذا الموقف البطولى ضـــمن مواقفـــه البطولية المتعددة ويعطى نفســـه البطوله التى هى محـــط أنظـــار كل القبائل فى ذلك العصر ، « والبطل الحقيقى عندهم هو الذى تتمثل فيه صفات المروءة والبسالة والفداء ونكران الذات ولكن تحقيق هذه المعانى

---

(١٠) الديوان ص ١١٥ ، شرح المعلقـــات السبع ص ١٣١ الطبعة الأخيرة ١٩٦٦م • الشكة : السلاح ، فرط : فرس سريع •

(١١) الديوان ص ١٧٦ ، شرح معلقات السبع ص ١٣١ الزوزنى •

لا يتم على الوجه السليم وفى المجتمع القبلى بالذات الا اذا كان العمل البطولى معبرا عن ارادة الجماعة ونابعا من طبيعة القيم التى مجدها نظام المجتمع القبلى الذى لم يكن يستطيع الفرد فيه أن يعيش مستقلا بذاته ولذاته .. ولبيد اذا كان يفخر بنفسه فهو يفخر بقومه واذا كان يفخر بقومه فانما يفخر بنفسه »(١٢) .

وكثيرا ما كان يفاخر بقومه بنى عامر على غيرهم من القبائل الأخرى فيذكر شجاعتهم وقوتهم فى الحروب ومالهم من مناقب عظيمة ثم يفخر بنفسه ويعدد شمائله وتحمله المشاق والأعباء فى سبيل رفع شأن القبيلة وما أكثر ما قال ويقول(١٣) :

أنا اذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جشامها
ومقسم يعطى العشيرة حقها ... ومعذمر لحقوقها هضامها(١٤)
من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة واما مها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم ... اذ لا تميل مع الهوى أحلامها
واذا الأمانة قسمت فى معشر ... أو فى بأوفر حظنا قسامها

وهكذا يعرض علينا لبيد صفات الشرف والسؤدد التى كان عليه أهله والتى تدل على الانسانية العربية الأصيلة .

---

(١٢) قضايا النقد الأدبى ص ١٨٣ د/ محمد زكى عثمان الهيئة العامة للكتاب .

(١٣) الديوان ص ١٧٩ ، شرح المعلقات السبع ص ١٣٦ وما بعدها .

(١٤) المعذمر الذى يضرب بعض حقوق الناس فى بعض فيأخذ من هذا ويعطى هذا ، بمعنى انه يقسم بالعدل .

ويمضى الشاعر فى سرد فضائل قومه وتغلبهم على الخصم ليس بالسيف فقط ولكن باقامة الحجة والجدال ، والعظيم هو الذى يطمع فى حقوق الغير وهـو الذى يقسم الحقوق بين أفـراد القبيلة بالعـدل والانصاف ، وهو الذى يتمكن من رد ما ضاع من الحقوق حتى ولـو كان المقابل هو التضحية بحقوق نفسه ، وهو الذى يعين قـومه على الكرم والمحافظة على كل ما يورث القبيلة المعالى والرفعة التى توفى العشيرة حقها هكذا كان الشاعر لبيـد لم ينس أبدا احساسه بالجماعة وواجباته نحوها ولم ينفصل لحظة عن قومه بل هو دائما شاعر بأنه لم يوجد لنفسه بقدر ما وجد لجماعته وقومه .

واذا كنا قد عرفنا ان الكرم والتفانى مع العشيرة مظهر من مظاهر البطولة فكذلك الكرم مع غير الأهل من الجيران والغرباء فضـيلة من أعظم الفضائل التى يتحلى بها الانسان يذكر بذلك الشاعر فيقول(١٥):

وجزور ايسار دعـوت لحتفهـا ... بمغالق متشـابه أجسـامها
أدعـو بهن لعاقـر أو مطفـل ... بذلت لجيران الجميع لحامها
الضـيف والجـار الجنب كأنمـا ... هبطا تبالة مخصبا أهضامها

فهو يدعو الى اكرام الضيف ويصور ذلك أدق تصوير فى هـذه الأبيات التى توضح كيف كان يفعل مع الجيران والأضـياف والغرباء والمساكين والمحتاجين ، وذوو الحاجة الذين يقصدون منزله ويتوجهون الى داره « وهكذا يدفعنا لبيـد الى قمـة من قمم الشرف والسـيادة عندما يعرض علينا صورة هـذه الوفود الكثيرة التى تزدحم على داره

---

(١٥) الديوان ص ١٧٨ .

واجـــدة ما لا تجده من الخير والرخاء حتى لكأنهم حين نزلوا بيته قـــد نزلوا واديا خصبا لا يمتنع عنـــه الرزق ، ولا ينقطع عنـــه الرخـــاء ، وليس غريبا أن يكون لبيـــد وبيت لبيـــد ملجأ لليتامى والأرامل ولكل مسكينة ضعيفة ، ضيقة الحال ممزقة الثياب »(١٦) .

وهكذا كان الشاعر لبيـــد يحس بالفخـــر والزهو عنـــدما يعرض مواقفه وما دعاه اليـــه واجبه تجاه قومه ومن جاورهم « وشـــــعره الجاهلى على هذه الوتيرة من الحديث عن مناقب آبائه ومفاخره »(١٧).

---

(١٦) قضايا النقد الأدبى ص ١٨٦ وما بعدها .

(١٧) تاريخ الأدب العربى العصر الاسـلامى ص ٩٢ د/ شـوقى ضيف دار المعـارف بمصر .

حياة لبيد فى الاسلام وصدق اسلامه :

لقد أدرك لبيد الاسلام وهو كبير السن وكانت له خبرته وتجربته وله عقله الراجح ومكانته الاجتماعية وقد توفر له من السجايا وهو فى العصر الجاهلى ما يوافق الاسلام ويظهر ذلك فى نظرته للحياة والموت ، والخير والشر والزمان الذى أفنى الأمم والملوك ، وكذلك فى تطلعه نحو السماء يلتمس الرحمة والثقة والعدل والايمان ، ويعنى ذلك أنه قد ظهر ميله نحو التوحيد فى قصائد كثيرة قالها قبل الاسلام وخاصة قصيدته التى قالها فى رثاء النعمان وما بعدها حتى أراد الله له الدخول فى الاسلام كما تذكر الروايات عندما تحدثت عن هداية الشاعر لبيد للاسلام ، ومن الممكن أن اسلامه كان بين السنة الرابعة « سنة بئر معونة » والسنة الثامنة ففى هذه السنة كما تذكرها بعض الروايات أعطى لبيد من غنائم هوازن « يوم حنين » على انه من المؤلفة قلوبهم وقد وزعت هذه الغنائم بـ « الجعرانة » بعد حصار الطائف سنة ثمان ، وتذكر الروايات أن لبيدا قدم على الرسول — ﷺ — مع وفد قومه بنى جعفر بن كلاب فأسلموا ورجعوا الى بلادهم أى فى السنة التاسعة « سنة الوفود » ، وتذكر الروايات أخبارا عدة عن اسلامه فالمهم أنه أسلم ومكث فى نجد ثم رحل الى الكوفة أثناء خلافة عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — واستقر بها ، وامتد عمره الى خلافة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — وكان أهل الكوفة يقدرون لبيدا لصفات حميدة فيه وخاصة كرمه فى الجاهلية والاسلام ، ولقد أدرك عهد الفتنة التى انتهت بمصرع عثمان — رضى الله عنه — ولا توجد له أى ذكرى فى هذا العهد وفى عهد على — رضى الله عنه — لبلوغه

سن الشيخوخة ، ولقد تطاول به العمر فيقال بلغ مائة وعشرين سنة ، وقيل مائة وثلاثين وقيل مائة وستين ... الخ .

وتدل الروايات على أن لبيدا حسن اسلامه بعد أن أعلنه أمام الرسول ـ ﷺ ـ مع الوفد الذى كان مصاحبا له ، ثم عاد بعد اسلامه الى قبيلته وأخذ يوضح لهم مبادىء الاسلام ويذكر لهم من القرآن الكريم ما أمر به الدين الاسلامى وصار يقرأ القرآن الكريم بالنسبة له فى الدرجة الأولى وظل كذلك حتى توفاه الله فى صدر خلافة معاوية سنة ٤٠هـ(١) .

ويذكر المؤرخون والرواة أنه شغل نفسه بعد اسلامه بالقرآن الكريم وتلاوته ولم ينظم من الشعر الا القليل وعندما سئل لبيد عن شعره كتب سورة « البقرة » وقال : أبدلنى الله هذا فى الاسلام مكان الشعر وهذا ما جعل بعض الرواة يقولون بأنه لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا ويختلفون فيه منهم(٢) :

من قال :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الاسلام سربالا

---

(١) راجع العصر الاسلامى ص ٩٠ د/ شوقى ضيف .

(٢) الشعر والشعراء ١/٢٨١ ، الأغانى ١٥/٢٩٧ دار الثقافة ، العصر الاسلامى ص ٩٠ د/ شوقى ضيف .

ومن قـــال :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

والحق أن له أشعارا كثيرة تفيض بالمعانى الاسلامية التى لا تدع مجالا للشك فى أن له العديد من الأشعار التى تفيض بمعانى الاسلام ومثاليته الروحيـــة بحيث يمكن أن نقسم شـــعره الى قسمين : قسم جاهلى ، وآخر اسلامى(٣) .

(٣) العصر الاسلامى ص ٩١ د/ شوقى ضيف .

اسلاميات لبيـد بين النفى والاثبات

أولا ـ عرض جانب النفى ودعوى القائلين به :

من يتتبع أخبار لبيد بن ربيعة فى العديد من المصادر والمراجع يجد أكثرها يكاد يجزم بأن لبيدا انصرف عن قول الشعر بعد اسلامه وأنه لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا ، وهذا البيت قد اختلفوا فى نسبته كما أنهم اختلفوا فى روايته ، ففى رواية عن أبى عبيدة : ان البيت الذى قاله فى الاسلام هو(١) :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى لبست من الاسلام سربالا

وقيل : وليس هـذا البيت فى شعر لبيـد بل هو منسوب لقردة ابن نفاته السلولى من معاصرى لبيـد ، ويقال ان قردة هـذا وفد على النبى ﷺ فأنشده قوله(٢) :

بان الشباب فلم أحفل بالا وأقبل الشيب والاسـلام اقبالا
وقد أرى مذيمى من مشعشة وقد أقلب أوراقا واكفـالا
والحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى لبست من الاسلام سربالا

---

(١) الأغانى ١٥/٣٦٩ .
وفى رواية البيت خلاف الشطر الثانى ففى البعض « حتى كسانى دين الاسلام سربالا »
الخزانة ١/٢٧٧ وكذلك يروى « حتى اكتسيت من الاسلام سربالا»
أسد الغابة ٤/٢٦١ ط المكتبة الاسلامية طهران .
(٢) معجم الشعراء ص ٢٢٣ تحقيق عبد الستار فراج مصر ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .

ويقول ابن قتيبة عن لبيـد بن ربيعة : « أدرك لبيـد الاسلام .. ولم يقل فى الاسـلام الا بيتا واحـدا واختـلف فى البيت قـال أبو اليقظان هو(٣) :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الاسلام سربالا

وقال غيره : ــ بل هو قوله ــ (٤) :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصـالح

فرأى ابن قتيبة أن لبيـدا لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحـد فقط وقـد ذكر ذلك صراحة وأيد ذلك بمـا أورده الرواة من روايات مفادها أن لبيـدا ترك الشعر بعـد اسلامه وذلك استنتاجا لمـا حدث فى قصـة لبيـد مع عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عندما قال له : انشدنى من « شعرك » فقرأ سورة البقرة ، وقال : ما كنت لأقول شعرا بعد اذ علمنى الله سورة البقرة وآل عمران فزاده عمر فى عطـائه خمسمائة درهم وكان ألفين »(٥) .

وكذلك القصة التى أوردها ابن قتيبة والتى تذكر أن لبيدا كان فى الجاهلية ألا تهب الصبا الا أطعم الناس حتى تسكن وألزم نفسه فى اسلامه فلما هبت قام الوليد وكان واليـا على الكوفة فخطب فى الناس وذكرهم بما نذر لبيـد قال : « ان أخاكم لبيـدا كان ألا تهب

---

(٣) الشعر والشعراء ١/٢٨١ .

(٤) ديوان لبيد ص ٣٤٩ وهذا البيت من الأبيات المفردة في الديوان

(٥) الشعر والشعراء ١/٢٨٢ .

الصبا الا أطعم الناس حتى تسكن » وهـذا اليـوم من أيامه فأعينوه وأنا أول من أعانه ٠٠ ، وكتب اليه(٦) :

أرى الجزار يشحذ شفرتيـه اذا هبت رياح أبى عقيـل

فلما أتاه الشعر قال لابنته : أجيبيه فقد رأيتنى وما أعيا الجواب شاعر فقـالت :

اذا هبت ريـاح أبى عقيـل دعونا عند هبتها الوليـدا
أشم الأنف أصـيد عبشميا أعان على مروءته لبيـدا

فقال لها لبيـد أحسنت لولا أنك استطعمته ، قالت : انه ملك وليس بسوقة ولا بأس باستطعام الملوك ٠

وقد أورد هـذه القصة صاحب الأغانى(٧) وجمهرة أشـعار العـرب(٨) ٠

وذهب فهم البعض من هـذه القصة وما ورد فيها من طلب لبيد

---

(٦) الشعر والشعراء ١/٢٨٣ تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة ١٩٧٧م ٠

(٧) الأغانى ١٥/٢٩٩ دار الثقافة ٠

(٨) جمهرة أشعار العرب ٨٣ ـ ٨٤ تحقيق على محمد البجاوى دار نهضـة مصر ٠

وفى لديوان ورد البيت الثانى :

طويل الباع أبيض شمرى أعان على مروءته لبيدا

الديوان ص ٢٣٣ ٠

من ابنته أن تجيب الوليد بن عقبة ما مفاده توقف لبيد عن قول الشعر بعد اسلامه .

وكذلك ما أورده بعض الباحثين فى هذا الصدد عندما قال : « والذين ذهبوا الى أن لبيدا هجر الشعر منذ هداه الله الى الاسلام يعززون رأيهم برواية تقول : « كتب عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا فى الاسلام فأرسل الى لبيد فقال : انشدنى فقال : ان شئت ما عفى عنه ــ يعنى الجاهلية ــ فقال : لا أنشدنى ما قلت فى الاسلام فانطلق فكتب سورة البقرة فى صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر فكتب بذلك المغيرة الى عمر فنقص من عطائه خمسمائة وجعلها فى عطاء لبيد .. »(٩) . ويؤكد الباحث على صحة الرواية فيقول : « والرواية جديرة بأن أقف عندها فهى رواية موثقة لا سبيل لانكارها »(١٠) .

ولكن الباحث ينفى أن تكون دليلا على توقف لبيد عن الشعر فى زمن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ لمجرد الاستنتاج فقط من هذه القصة فيقول : « أما دلالة جوابه على هجر الشعر فنحن هنا ازاء احتمالين :

١ ــ اما أن يكون لبيد قد عزف عن قول الشعر فى هذه الفترة لا لأنه لم يقل الشعر منذ أسلم كما ذهب الى ذلك الرواة بل لأنه شاخ وأسن .

---

(٩) لبيد بن ربيعة ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ د/ يحيى الجبورى .
(١٠) المرجع السابق .

٢ ــ واما أنه عرف ما أراده عمر من الاطمئنان الى ايمان الشعراء وتمسكهم بعرى الدين فأجاب الجواب الفطن الذكى المؤدب »(١١) •

وان كان الاحتمال الثانى لا نطمئن اليه لأن معنى ذلك أن لبيـــدا يداجى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ويخدعه حتى ينال رضـــاه وهـــذا خلق يتنافى مع المسلم صادق الايمـــان مثل لبيـــد ولا يلائم خلق عمر بن الخطاب الصريح الذى يقصد الى موضوعه مباشرة فطبع عمر وطبيعته لا تمنع أن يسأل لبيدا صراحة عما يريد السؤال عنه •

---

(١١) المرجع السابق ص ٣٨١ •

مناقشة آراء الرافضين والرد عليهم

هذا كل ما ورد ، وهو ما استند اليـه القائلون بعدم قوله الشعر بعـد دخوله فى الاسـلام .

ولكن يمكن للمتأمل فى شعر الشاعر والدارس لديوانه والربط بين شعره ونشأته وسيرته يجد الأدلة واضحة على عدم صحة المقولة التى تنفى قوله الشعر فى الاسلام اذ أن الرأى القائل بعـدم وجود شعر له فى الاسـلام قائم على الاسـتنتاج المبنى على الافتـراض — وبالطبع — مثل هـذه الأمور تكون نتيجة خاضـعة للنقـاش وقابلة للرفض وعدمه حسب ما يؤيده الواقع ، وفى الحقيقة يثبت وجـود العديد من النصوص المرتبطة بأحداث مر بهـا الشاعر بعـد اسلامه ، وقال فى مناسبتها نصوصا كثيرة(١) .

١ — أما قصته مع الوليد بن عقبة والى عثمان — رضى الله عنه — على الكوفة وكان يعلم سخاءه وضيق يـده فأرسل اليـه مائة بكرة وكتب اليه بأبيات .. فاما بلغت أبياته لبيدا قال لابنته أجيبيه فلعمرى لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر ويرد على ذلك أحد الباحثين بقوله : « هـذه الفترة كان لبيـد قـد قارب المـائة عام أو جاوزها ولبيدو من عبارته أنه لم يعد قادرا على اجابة الشاعر الوالى الذى كتب اليه لأنه يقسم أنه عاش برهة وما يعى بجواب شاعر أى أنه الآن عاجز عن الاجابة وكان يتمنى لو قـدر ويأسف على انه لجأ الى ابنته لترد عليه ، وفيما عدا ذلك من أخباره ، وأخبار أسرته واسلامه والربط

---

(١) الشعر والشعراء ١/٢٨٢ .

بين ذلك وبين شعره ووزن كل منهما بالآخـر فيدل على أنه لم يهجر الشعر بعد الاسلام بل يدل ، على أنه قال هـذا الشعر بعد الاسلام وتأثر فيـه بمعانيه الجديدة وأساليبه القرآنية »(٢) .

٢ ــ وأما من ينكر قوله الشعر بعـد اسلامه لمجرد الاستنتاج الذى فهم من قول الرواة «انه شغل نفسه حينئذ بالقرآن وتلاوته ولم ينظم الشعر الا قليـلا ويصورون ذلك فيقولون ان عمر أرسـل الى المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة : أن استنشد من قبلك من شـعراء مصرك ما قالوا فى الاسلام ، فاما سأل لبيدا عن شعره انطلق فكتب سورة البقرة فى صحيفة ثم أتاه بها ، وقال : أبدلنى الله هـذه فى الاسلام مكان الشعر فكتب المغيرة بذلك الى عمر فأمر أن يزيد عطاءه خمسمائة وكان ألفين ، وربما يكون الشاعر فى قصـته مع عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ترجع الى أن الشاعر لم يستطع أن ينظم شعرا فى مثل بلاغة القرآن الكريم واعجازه فعزم على هجر الشعر برهة وليس هناك مانع من أنه استمر على ذلك وقتا ولكن موهبتـه الشعرية أرقته فهى لم توافقه على السكوت وحرضته على قول الشعر .

كذلك ما يضعف الاستدلال بهذه القصـة الاختلاف فى الرواية حيث جاءت هـذه القصة بروايتين الأولى أنهـا كانت بين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ولبيـد مباشرة ، والثانية أن عمر بن الخطاب أرسل الى واليه فى الكوفة ووالية هو الذى طلب من لبيـد قول الشعر فأجابه بكتابة سورة البقرة .

---

(٢) الشـعر الاسـلامى فى ظلال النبوة والخلافة الراشدة ص ٨١ د. عبد السلام عبد الحفيظ .

فهاتان الروايتان المتضاربتان تجعلنا لا نطمئن الى صحتهما معا ولا نثق فيهما ونسقطهما معا .

وبالتالى فلا تصلح أن تكون دليلا على توقف لبيد عن قول الشعر بعد اسلامه .

٣ ــ وأما قصة المغيرة وطلبه من ابنته فهذا لكبر سنة كما ذكر هو اذ انه عاش برهة وما يعى بجواب شاعر أى أنه الآن عاجز عن الاجابة وكان يتمنى لو استطاع ويأسف لأنه لجأ الى ابنته لتقوم بالرد نيابة عنه ... وهذا لا ينفى أن يكون قبل ذلك قادرا وقال شعرا ، ومن المحتمل أن تكون حالة الشاعر لا تسمح له بالرد على الوليد ابن المغيرة لا لكبر سنه فقط ولكن لأن الشاعر لفه السأم والفقر وضيق الحالة المالية والتى جعلته لا يستطيع الوفاء بما نذر وقد هبت ريح الصبا فربما يكون هذا الموقف أشعره بالخزى الذى يحسه العاجز السخى فأغلق عليه باب القول ، ولكن لما كان لابد من الرد على الشىء الذى وصله من مال وشعر طلب من ابنته الرد نيابة عنه .

هذا كل ما بين أيدينا من أدلة يستند اليها القائلون بتركه الشعر بعد اسلامه ولم نعثر على شىء ــ فيما رجعنا اليه ــ انه أضرب عن الشعر بعد اسلامه .

الرأى الراجح فى القضية :

المتأمل فى كل ما ذكر لا يجد اعترافا صريحا على عدم قوله الشعر ولهذا فليس من الصواب أن نسلم بعدم قوله شعرا بعد اسلامه لمجرد افتراض أو استنتاج قائم على الافتراض فقط ونترك أو نتجاهل

كل ما ورد عنه من قصائد اسلامية كما مرت وسبق ذكرها وقد أيدتها الأدلة والصدق والواقع ، وما وجد فى ديوانه من أشعار قيلت فى مناسبات حدثت بعد اسلامه بأعوام كثيرة ووردت على لسان لبيد ، فاذا عدمنا القول الصريح والاعتراف بلسان الشاعر نفسه على قوله الشعر بعد الاسلام فلا نعدم الأقوال والأشعار التى يمكن أن تشهد فى وضوح وصراحة على أنه قال الشعر بعد الاسلام فمن الرجوع الى نشأته التى ذكرت والربط بينها وبين الأحداث التى مرت على الشاعر طوال حياته والتى طالت وامتدت كما ذكر وكما يقول العسكرى دخل البادية وكان عمره مائة وخمسا وأربعون منها خمس وخمسون فى الاسلام وتسعون فى الجاهلية وقلت : المدة التى ذكر فى الاسلام وهم ، والصواب ثلاثون وزيادة سنة أو سنتين الا أن يكون ذلك مبنيا على أن سنة وفاته كانت سنة نيف وستين وهو أحد الأقوال(٣) .

ثم بعد ذلك أخذ يشكك فى البيت الذى أورده ابن قتيبة وهو قول الشاعر .

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى(٤) ...

---

(٣) الاصابة ٥/٦٧٦ فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى تحقيق على محمد البجاوى دار نهضة مصر .

(٤) ويذكر ذلك فى الديوان ص ٢٣٦ فيقول وهذا البيت نسبه للبيد فى كثير من المصادر والصواب أنه لقراء بن نفاثة .

ويقول : قال أبو عمر : البيت ليس للبيد بل هو لقردة بن نفاثة وهو القائل القصيدة المشهورة التى أولها :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ....

وقد ثبت أن النبى — ﷺ — قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد فذكر هذا الشطر .

وقال أبو عمر : فى هذه القضية ما يدل على أنه قاله فى الإسلام

وكل امرىء يوما سيعلم سعيه اذا كشفت عند الاله المحاصل

ويذكر صاحب الاصابة ان فى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل(٥) .

وما ذكره صاحب الاصابة من التشكيك فى البيت الذى ذكر ابن قتيبة والذى ذكر أنه هو البيت الوحيد الذى قاله بعد اسلامه وبعد أن نفاه صاحب الاصابة وأيده محقق الديوان فان صح ما ذكر وهو صحيح فان هذا يكون دليلا على بطلان نفى الشعر عن لبيد بعد اسلامه اذ كيف يكون هو البيت الوحيد الذى أثبته ابن قتيبة له وهو فى الحقيقة لغيره وأيدته المراجع اذا فيصبح قول ابن قتيبة مجرد افتراض يخضع للنقاش وقابل للصدق وعدمه حسب ما يؤيده الواقع الذى ورد على لسان الشاعر من خلال ما ورد فى أقواله ، وأشعاره ، ومن نصوص وردت فى الديوان وذكر الكثير منها فى الصفحات الماضية من هذا البحث فمنها ومن مراجعة نشأة الشاعر والتعرف على حياته

---

(٥) راجع الاصابة ٥/٦٧٦ .

من خلال شعره الذى يعد سجلا صادقا مأخوذا من الواقع الذى عاشه الشاعر فى جاهليته واسلامه •

والحق أن له أشعارا كثيرة تفيض بمعانى الاسلام ومثاليته الروحية بحيث يمكن أن تقسم شعره قسمين : قسما جاهليا ، وقسما اسلاميا(٦) •

ومعنى ذلك أن شعره فى الاسلام لم يكن كما قيل : بيتا واحدا اذ كيف يكون البيت الواحد قسما من شعره ، وعلى ذلك يمكن أن نستنتج أن الذين ينكرون قول لبيد شعرا بعد اسلامه يأخذون بظاهر قوله « أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر » والحق أن هذا القول لا ينفى أن يكون ترك الشعر مطلقا بعد اسلامه أو أنه لم يكن له الا بيتا واحدا كما ذكر فكيف وله الكثير من الأشعار فى عهد الرسول — ﷺ — ، وبعض خلفائه وقد ثبت ذلك قولا واستنتاجا أما كونه طلب من ابنته أن تجيب فأمر طبيعى بعد أن تأخرت به السن وشاخ •

من البراهين التى تؤكد قول لبيد للشعر بعد اسلامه قصة مرض عمه الذى قدم الى الرسول — ﷺ — بقصد شفائه حيث يروى « أن أبا براء عامر بن مالك قد أصابته دبيلة فبعث لبيد بن ربيعة الى رسول الله — ﷺ — وأهدى له رواحل فقدم بهما لبيد ، وأمره أن يستشفيه من وجعه فقال له الرسول — ﷺ — لو قبلت من مشرك لقبلت منه » وزوده بما يشفى عمه من وجعه الذى ألم به ،

---

(٦) تاريخ الأدب العربى — العصر الاسلامى ص ٩١ د/ شوقى ضيف دار المعارف ، طبعة تاسعة •

وأقام لبيد يقرأ القرآن وكتب (الرحمن علم القرآن) ورجع بما زوده به النبى — ﷺ وأعطاه لعمه فبرىء من وجعه(٧) .

وهنا ندرك أن لبيدا أسلم وعمه لا يزال بقيد الحياة ومن هنا يمكن أن يكون ذلك برهانا آخر يضاف الى ما سبق على صحة مانقول عندما نذكر أن لبيدا قال شعرا بعد اسلامه لأنه قام برثاء عمه بأكثر من قصيدة قالهم الشاعر وهو مسلم وبذلك فهى بلا شك معدودة من شعره الاسلامى ويؤكد ذلك قول بعض الباحثين « فرثاء لبيد لعمه أبى براء قاله الشاعر وهو مسلم وهو معدود أو يعد من شعره الاسلامى ، واذا لم تكن المعانى الاسلامية واضحة فيه فلأن لبيدا قاله وهو حديث عهد بالاسلام لم تكن معارفه الدينية واسعة ولا ميسورة لديه »(٨) .

ويؤكد على أن لبيدا قال شعرا بعد اسلامه لأنه قاله فى مراحل متأخرة من عمره ، ولا يمكن أن نفترض هذا الشعر لم يقله لبيد — أصلا — وانما قيل فى عصور متأخرة ونحله لبيد وهو ما ليس لنا دليل عليه ولا يمكن اثباته واما أن نفترض أن لبيدا قد قاله ولكن فى مرحلة من مراحل حياته الاسلامية وهو ما تؤكده النصوص الواردة والشعر المدون وعندئذ يسقط القول بأن لبيدا لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا ليثبت أنه قال كثيرا واستمر يقول حتى ضعف عنه »(٩) .

---

(٧) راجع الأغانى ١٧/٥٨ — ٥٩ الهيئة العامة .

(٨) الشعر الاسلامى ص ٨٢ د/ عبد السلام عبد الحفيظ .

(٩) الشعر الاسلامى ص ٨٨ د/ عبد السلام .

ويذكر باحث آخر مؤكدا أن شعره فى رثاء عمه أبى براء شعر اسلامى « كل الشعر الذى جاء فى رثاء عمه أبى براء عامر بن مالك هو شعر اسلامى(١٠) ، وقد عرفنا فيما تقدم أن لبيدا أسلم قبل موت عمه ... وكان أول قومه اسلاما .

وكذلك فى قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس التى ذكرها ابن هشام حيث قال : « وفد على رسول الله — ﷺ — وفد بنى عامر فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس وجابر بن سلمى بعد ابن مالك وهؤلاء الثلاثة كانوا رؤساء القوم وكان عمر بن الطفيل عدو الله تحالف مع أربد بن قيس أن يشغل الرسول — ﷺ — وأن يقوم أربد بقتل الرسول — ﷺ — بالسيف ، ولكن لم يستطع أربد أن ينفذ ذلك وخرجوا راجعين الى بلادهم فمات عامر بن الطفيل بالطاعون فى عنقه ، وبعد أيام خرج أربد بن قيس مع جمل له فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما وأنزل الله فى عامر وأربد قوله « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ... الى قوله تعالى « وما لهم من دونه من وال » و « ونزل فى أربد وما قتله الله به قوله : ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الى قوله تعالى شديد المحال »(١١) .

واذا كان الأمر كذلك واسلام لبيد كان قبل وفاة عامر بن مالك

---

(١٠) لبيد بن ربيعة ص ٣٨٤ د/ يحيى الجبورى .

(١١) انظر سيرة بن هشام جـ ٤ ص ٥٦٨ — والآيات من سورة الرعد رقم ٧ ، ١١ .

وكذلك قبل وفاة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخى لبيد على رسول الله ثم مقتلهما بعد ذلك فتكون كل القصائد التى قيلت فى رثاء هؤلاء قالها لبيد وهو مسلم ، وكلها تدل على عدم توقف لبيد عن الشعر بعد اسلامه ، هذا الى جانب ظهور الروح الاسلامية فى رثائه وشعره لأهله وذويه .

واذا كانت الروايات كما ذكر صاحب الاصابة ، وحكى الرياشى قال : صاحب الاصابة لما اشتد الجدب على مضر من دعوة الرسول — ﷺ — وفد عليه وفد قيس ، وفيهم لبيد فأنشده :

أتيناك يا خير البرية كلها ... لترحمنا مما لقينا من الأزل
أتيناك والعذراء تدمى لبانها ... وقد ذهلت أم الصبى عن الطفل
وألقى سنيه الشجاعة استكانة ... من الجوع صمتا مما يمر ولا يحلى
ولا شىء مما يأكل الناس عندنا ... سوى العلهز العامى والعبهر الغسل
وليس انا الا اليك فرارنا ... وأين يفر الناس الا الى الرسل
فان تدع بالسقيا وبالعفو ترسل الـ ... ـماء والأمر يبقى على الأصل

والقى تكنيه الشجاع استكانة
من الجوع صمتا مما يمر ولا يحلى(١٢)

ومن واقع الأبيات نجد الشاعر يمدح النبى — ﷺ — بجملة الرسالة التى يعترف بها فهو يجعل الرسول — ﷺ — هو الملاذ والملجأ .

---

(١٢) الاصابة فى أخبار الصحابة جـ ٥ ص٦٧٨ ومابعدها للعسقلانى ضبط على محمد البجاوى دار نهضة مصر .

والقصيدة ارادة شعرية أو فقد هذه الارادة الشعرية والاسلام لم يمنع الشعراء عن قول الشعر ولم يحل بين الشاعر وفنه ووجد من قال الشعر قبل اسلامه وظل يقوله بعد اسلامه ولنا فى حسان ابن ثابت وغيره من الشعراء المخضرمين مثلا فلم يمنعهم القرآن عن قول الشعر ، فالشعر موهبة وفن قائم على العلم والأسس وخير دليل على عدم منع الاسلام الشعراء عن قول الشعر استمرار حسان بن ثابت ورهطه من شعراء الأنصار على قول الشعر فى الاسلام بل قد وجد الشعراء السجع من الرسول — ﷺ — والخلفاء الراشدين على قول الشعر الذى كان له دور لا ينكر فى سبيل الدعوة الاسلامية ولم يكن ثمة تعارض بين الاسلام وقول الشعر وتسجيل المشاعر والاعراب عن العواطف وأمام الدارس ثروة ليست هينة ولا قليلة من شعر لبيد الاسلامى والذى تتضح فيه الروح الاسلامية .

ونستطيع أن نتخذ من كثرة الشعر الذى فيه الروح الاسلامية خصوصا شعره فى رثاء عمه الذى ثبت أنه قاله بعد اسلام لبيد بفترة غير قليلة ، وبذلك فتكون كل القصائد(١٣) التى قيلت فى رثاء عمه وأبناء أعمامه وذوى قرباه قيلت بعد اسلام الشاعر فهى اسلامية .

والآن مع بعض النماذج التى قالها فى رثاء أهله وذويه :

١ — شعره فى رثاء عمه(١٤) :

لقد رثا لبيد عمه بأكثر من قصيدة ولدينا من هذا الشعر الذى

---

(١٣) وقد تكون أرجوزة أو قطعة ولكن ذكرنا قصيدة من باب التجوز

(١٤) الديوان ص ٢ .

يرثى فيه عمه أبا براء أربع قصائد أولها القصيدة الأولى فى الديوان مطلعها(١٥) :

أصبحت أمشى بعد سلمى بن مالك
وبعد أبى قيس وعروة كالاجب
وبعد أبى عمرو وذو الفضل عامر
وبعد المرجى عروة الخير للكرب

وكذلك رثى عمه عامر بن مالك : مطلعها(١٦) :

أعاذل قومى فاعذ لى الآن أو ذرى
فلست وان أقصرت عنى بمقصر
وبالغورة الحراب ذو الفضل عامر
فنعم ضياء الطارق المتنور
ونعم مناخ انجار حل بيته
اذا ما الكعاب أصبحت لم تستر

وقال فى رثاء عمه اجابة لطلبه عمه عند موته حيث قال له :

« يا لبيد : ان حدث بعمك حدث ما كنت قائلا ... فقال لبيد أرجوزته(١٧) :

يا عامر بن مالك يا عما أهلكت عما واعشت عما

---

(١٥) المرجع السابق .
(١٦) الديوان ص ٤٦ .
(١٧) الديوان ٣٤٥ ولبيد ص ٣٨٦ د/ يحيى الجبورى .

ان تمسى فينا خلقا رمما فقد تكون واضحا خضما
مرتديا سابغة معتما متخذا أرض العدو حما

ويقال ان أبا براء بعد ذلك اتكأ على سيفه حتى قتل نفسه ، وبعد موته أخذ بيكيه وينوح عليه فقال :

قوما تجوبان مع الانواح فى مأتم مهجر الرواح
يخمشن حر أوجه صحاح فى السلب السود وفى الامساح
وابناء ملاعب الرماح أبا براء مدره الشياح
يا عامرا يا عامر والصباح ومدره الكتيبة الرداح

فهذه القصائد قالها لبيد بعد اسلامه وهى تعد من القسم الاسلامى فى شعر لبيد أو من شعره الاسلامى حتى وان لم تظهر فيها روح الاسلام وتعاليمه لأن الشاعر أنشدها وهو حديث عهد بالاسلام ومازال متأثرا بروح العصر الجاهلى ويغلب النمط الجاهلى فى النص ، وهذا لا يمنع أن تكون من الأدلة على قوله الشعر بعد اسلامه والدليل على ذلك أن قصائده المتأخرة كانت تظهر فيها روح الاسلام ، ونستطيع أن نتخذ من ذلك دليلا على عدم توقف لبيد عن قول الشعر بعد هدايته للاسلام كذلك من اسلاميات لبيد شعره فى رثاء « أربد » الذى قتل بالصاعقة وكان لم يمض على اسلام لبيد غير عام واحد وكان من الطبيعى أن يبكى أخاه بكاء حارا فرثاه باحدى عشرة قصيدة كما ذكر بعض الباحثين(١٨) منها تسع قصائد على النمط الجاهلى لكونه حديث عهد بالاسلام ، أما القصيدتان الأخريان(١٩)

---

(١٨) انظر لبيد ص ٣٨٧ د/ يحيى الجبورى .
(١٩) هما القصيدة رقم ٢٤ ، ٢٦ فى الديوان .

فقد ظهرت فيهما الروح الاسلامية لتعمقه فى الحيـاة الاسـلامية ، وتأثره بها وبالقرآن الكريم ومعانيه وبالتالى فقد ظهر أثر الاسـلام فى هاتين المرثيتين فيقول فى الأولى(٢٠) :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت فى أكناف جار مضنه ... ففـارقنى جار بأربد نافـع
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا ... وكل فتى يوما به الدهر فاجع

أما القصيدة الثانية فهى التى جعل مطلعها(٢١) :

ان تقـوى ربنا خـير نفـل ... وباذن الله ريثـى وعجـلى
أحمـد الله فـلا نـد له ... بيديه الخير ما شـاء فعل
من هداه سـبل الخـير اهتدى ... ناعم البال ومن شـاء أضل
فمتى أهلـك فلا أحفـله ... بجلى الآن من العبس بجـل
من حيـاة قـد مللنا طـولها ... وجدير طول عيشى أن يمـل

وهـذه من القصائد الطوال فى الديوان وهى خير شـاهد على شعره الاسلامى ، لأن الشاعر قد بين فيها أنها قيلت فى عهد متأخـر حيث بلغ دن العمر عتيا وصار يمل البقاء وفى ذلك خير شاهد على وجود شعر اسلامى للبيد الى جانب ظهور مبادىء الاسلام الواضحة فى الفكرة وفى الألفاظ والأسلوب والمعانى المقتبسة من القرآن .

واسلاميات لبيـد تظهر فى شعره الذى تحدث فيـه عن هجرة قومه مع الجند الفاتحين فى بلاد العراق والشام والتى مطلعها :

---

(٢٠) الديوان ص ١٦٨ .
(٢١) الديوان ص ١٧٤ .

أنما يحفظ التقى الابـــرار ... والى الله يستقر القـــرار
هلكت عامر فلم يبق منهـا ... برياض الأعراف الا الديـار
غيـر آل وغثـة وعريش ... زعزعتها الرياح والأمطـار
وأرى آل عامـــر ودعـونى ... غير قـوم أفزاسهم امهـار
فعـلى عامـر سـلام وحمـد ... حيث حلوا من البلاد وساروا
ان يكن فى الحياة خير فقد انـ ... ـظرت أو كان ينفع الانظار
عشت دهرا ولا يدوم على الأيـ ... ـام الا يرمرم وتعـار

وهو فى هـذه القصيدة يصور عجزه عن اللحاق بالمجاهدين من قومه لأنه صار ضعيفا ولا مكان له معهم فهو يحن ويتحسر على ما صار اليه،وفى الوقت نفسه يودعهم ويحييهم ويتمنى لهم السلامة والنصر فى أى مكان حلوا وساروا وزمن قوله فى هـذه القصيدة ليس بالمجهول حيث أشار الشاعر الى عمره وشيخوخته وبالتالى فهى من الشـعر الاسلامى عنـد لبيـد لأنهـا قيلت فى الاسـلام ولمسته الاسلامية ظاهرة فى النص .

وكما يذكر بعض الباحثين : وكل هـذا الشعر الذى استطعنا أن نستدل عليه بتاريخه ومناسبته مما قاله فى عهد اسلامه وهو شـعر كثير تعداده ثلاثمائة وخمسون بيتا وهو يقارب ثلث شعره جميعـا ، ومن غريب المصادفة أن لبيـدا أمضى ثلثى عمره فى الجاهلية وثلثا فى الاسلام ، وأنه نظم ثلثى شعره فى الجاهلية وثلثا فى الاسـلام ، وهذا تناسب طبيعى بين عمره ونتاج شعره(٢٢) .

---

(٢٢) لبيد ص ٣٩٣ د/ يحيى الجبورى .

ومن يتصفح ديوانه يجد الكثير من النصوص الاسلامية منها ما ذكر ومنها ما سنذكره بشيء من الايجاز لتجنب الاطالة والتكرار ، وبالتالي فيمكن أن نطمئن الى تقرير حقيقة مهمة ألا وهي : أن لبيد ابن ربيعة لم يهجر الشعر ولم يهمله ولكن أكبر الظن أن الذى ورد فى قصة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وخلافه كان من قبيل عدم اتخاذه الشعر صناعة كعادة الكثير من الشعراء هذا الى جانب ما ذكر من رد على هذا الادعاء والواقع أنه قال فى الاسلام شعرا كثيرا (٢٣) وندلل على ذلك بما نورده من نماذج .

---

(٢٣) راجع الديوان ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٧٩ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٣٩ .

نماذج من شعر لبيد الاسلامى

لقد برع الشاعر ــ لبيد ــ فى أغلب الفنون الشعرية وأجاد وأكثر فى البعض منها وأثار اعجاب الكثير من النقاد القدماء والديوان ملىء بقصائده المتنوعة من فخر ، ورثاء وحكمة وتأمل ووصف ...الخ ويشهد له المقولة التى ترى أن لبيدا أنشد النابغة معلقته التى مطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فقال له : « اذهب فأنت أشعر العرب »(١) .

ولقد كان الفخر من الأغراض الضرورية عند الشاعر الجاهلى عامة ولدى لبيد خاصة وذلك لأهميته الكبرى فى حياة المجتمع الجاهلى ونظامه القبلى فلقد كانت القبيلة بحاجة لمن يعلى شأنها ويظهر شمائلها وقيمتها ويرد على أعدائها اذ ان دور الشاعر الدفاع عنها بالكلمة كما أن الفارس من واجبه الدفاع عنها بالسيف لذلك لا يستغرب اذا قلنا انه لم يخل ديوان شاعر فى العصر الجاهلى من قصائد الفخر والتى غالبا ما كانت تنشد فى الأسواق المعروفة فى شبه الجزيرة العربية ، ولبيد أحد الشعراء المتقدمين فى هذا الفن وقد عرض فى الصفحات السابقة شىء منها .

واذا انتقلنا الى القسم الثانى من شعر لبيد وهو القسم الاسلامى فاننا نجد أثر القرآن الكريم واضحا جليا فى قصائده

---

(١) لبيد بن ربيعة العامرى ص ١١٥ للأستاذ/حسن جعفر نورالدين ــ دار الكتب العلمية .

ومقطوعاته فقد هذبت ألفاظه وعظمت معانيه ومن ثم يقول ابن سلام: « كان عذب المنطق رقيق حواشى الكلام وكان مسلما رجل صدق »(٢) وهـذه شهادة يعتد بها لأنها من ناقـد بصير •

ويتضح ذلك فى كثير من أشعاره وعلى سبيل المثال مراثيه لأخيه أربد الذى أتى النبى — ﷺ — غادرا وهو أخو لبيـد لأمه وكان قدم عليه مع عامر بن الطفيل فدعا الله عليه فأصابته بعـد منصرفه صاعقة فأحرقته(٣) ، ويقال فيـه نزلت : « ويرسل الصواعق فيصيب بهـا من يشاء »(٤) ، وفيـه يقول لبيـد(٥) :

بلينا وما تبلى النجـوم الطوالع
وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت فى اكناف جار مضننه
ففارقنى جـار بأربد نافـع
فلا جزع ان فرق الدهـر بيننا
فكل فتى يوما به الدهر فاجـع
وما الناس الا كالديار وأهلهـا
بها يوما حلوها وغـدوا بلاقـع

---

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ١٣٥ لابن سلام تحقيق محمد شاكر
(٣) انظر القصة كاملة فى سيرة ابن هشام ٤/٤٠٧ وما بعدها ، الكامل فى اللغة والأدب ٢/٣٢٥ للمبرد مكتبة المعارف بيروت •
(٤) سورة الرعد من الآية ١٣ •
(٥) لديوان ص ٨٨ وما بعدها دار الصادر بيروت ، الأغانى ١٥/١٣٠ ، الشعر والشعراء ١/٢٨٥ •

وما المـرء الا كالشهاب وضـوئه
يحور رمادا بعـد اذ هو ساطع
وما البر الا مضمرات من التقـى
وما المـال الا معمرات ودائـع
وما المـال والأهلون الا ودائـع
ولابـد يوما أن تـرد الودائـع
وما الناس الا عاملان فعـامل
بتبر ما يبنى وآخـر رافـع
فمنهم سـعيد آخـذ بنصـيبه
ومنهم شـقى بالمعيشـة قانـع
أليس ورائى ان تراجعت منيتى
لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت
أدب كأنى كلما قمت راكـع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه
تقادم عهد القين والنصل قاطع
فلا تبعدن أن المنيـة موعـد
علينا فـدان للطلوع وطالـع
أعاذل ما يدريك الا تظنيـا
اذا رحل انسفار من هو راجـع
أتجزع مما أحدث الدهر للفتى
وأى كريم لم تصـبه القـوارع
لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صـانع

سلوهن ان كذبتمونى متى الفتى
يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

ومن يتأمل هـذه المرثية يدرك من مطلع هـذا النص انه قيل بعد اسلامه ، فالناظر المتأمل فى النص يجد الشـاعر قد استجاب لتوجيهات الدين الاسلامى الذى أمر الانسان بأن يؤمن بحتمية الموت لأنه سنة الله فى خلقه ، وسنة الكون وحكمة الله فى مخلوقاته فالشاعر لم يجزع أمام رهبة الموت لأن كل فتى لابد له من يوم ينتقل فيه فمثله مثل الديار أو الشهاب الذى يسطع نوره مايلبث أن يتحول وماالانسان الا وديعة هو وماله والوديعة لابد وأن يأتى اليوم الذى ترد فيه طال أو قصر ويمضى الشاعر فى النص موضحا سنة الله فى خلقه فيميز بين نوعين من الناس واحـد بينى وآخر يهدم منهم الشقى وآخـر سعيد قانع بنصيبه راض بما قسمه الله له ، وهذا الذى يجب أن يكون عليه المؤمن الخالص الايمان لأن أمر الغيب منوط برب العباد وحـده هو الذى يفعل ما يشاء سبحانه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ويمضى الشاعر فى نصه طالبا من الذين يدعون علم الغيب أن يجيبوه عن بعض الأمور التى تثبت صحة أقوالهم فهو يتهـكم عليهم ويستنكر أقوالهم وأفعالهم لأن الله وحـده هو الذى يعلم الغيب تعالى الله عما يشركون .

ومن هنا نجد روح الاسـلام واضـحة فى هذه القصيدة التى اتسمت بالجزالة والبساطة فى اللغة والتراكيب والسهولة فى الألفاظ والوضوح فى المعانى وهذه سمات الشعر الاسلامى ومما يؤكد تجلى العاطفة الدينية عنـد الشاعر وصدقها ما نلحظه من أن العاطفة باهتة وغير محددة فلا هو انحاز الى أخيـه فتفجع عليه وأظهر حـزنه

المضنى عليه ، ولا هو انحاز الى الاسلام فجعل أخـاه من المتأمرين الذين جاءهم تحقيقا لدعوة الرسول — ﷺ فهو يستحق هـذه العاقبة ، لم يفعل شيء من ذلك ، ولعل السبب هو الصراع الذى دار فى داخله فهو بار بأهله وبخاصة أخيه فلم يتفجع عليه ولا هو أظهر ميله وتخلصه من العادات الجاهلية بعد أن أعلن اسلامه وهـذه تقتضى لوم أخيـه وتبكيته على ما أضمر من غدر برسول الله — ﷺ — فلما تذبذب بين هاتين العاطفتين بهتت العاطفة التى أملت عليه هـذه الأبيات ومع ذلك فالنص قيل بعـد اسلام لبيـد ويشهد بذلك التاريخ والمناسبة التى قيل من أجلها الشعر .

ومن قصائده التى يكثر الشاعر فيها من وعظه للناس مذكرا ومنبها على أهم قضية لدى الناس جميعا وهى قضية نهاية كل حى وان كان الموت هو المصير المحتوم فعلى الانسان أن يتزود بالهـدى والتقوى والعمل الصالح ومن يتدبر هـذه القصيدة يهتدى من خـلالها بأن قائلها انسان مؤمن كامل الايمان فمن علامات الايمان الرضى بالقضاء والصبر عنـد البلاء ، والحقيقة أنها تفيض بالحكم والمواعظ التى يجب على كل ذى عقل أن يتدبرها فها هو يقول فى رثاء عمه عامر بن مالك والتى مطلعها(٦) :

أعاذل قومى فاعذ لى الآن أو ذرى
فلسـت وان أقصرت عنى بمقصر
أعاذل لا والله ما من سـلامة
ولو أشـفقت نفس الشحيح المثمر

---

(٦) الديوان ص ٤٦ .

أفى العرض بالمال التلاد واشترى
به الحمدان الطالب الحمد مشترى
وكم مشترى من ماله حسن صيته
لأيامه فى كل مبدى ومدخر
فاما ترينى اليوم عندك سالما
فلست بأحيا من كلاب وجعفر
وأنا واخوانا لنا قد تتابعوا
لكالمفتدى والرائح المتهجر
هل النفس الا متعة مستعارة
قعار فتأتى ربها فرط أشهر

ولعل الاسلام فى هذه القصيدة منعه من البكاء والعويل على عمه وجعل الموت نهاية محتومة لكل حى واذلك خفت صراخه وعويله .

وكذلك من قصائده التى تؤكد بطلان الرأى القائل برفضه الشعر بعد الاسلام قوله(٧) :

لله نافلة الأجل الأفضل
وله العلى وأثبت كل مؤثل(٨)
لا يستطيع الناس محو كتابه
أنى وليس قضاؤه بمبدل

---

(٧) الديوان ٢٧١ .
(٨) المؤثل : الدائم .

سوى فاغلق دون غرة عرشـــه
سبعا طباقا فوق فـــرع المنقـــل
والأرض تحتهم مهادا راســيا
ثبتت حوالقهـــا بصـــم الجنـــدل
والمـــاء والنـــيران من آياتـــــه
فيهن موعظـــــة لمن لم يجهـــل
بل كل سعيك باطـــل الا التقى
فاذا انقضى شيء كأن لم يفعل

فالقصيدة تفيض بروح الايمان والاسلام فالشاعر يؤكد ويؤكد على الايمان بالله الواحد الصمد الذى له كل شيء ومنه كل شيء لا معقب لحكمه أمره نافذ وتدبيره محكم فى كتابه المحفوظ وآياته الواضـــحة لذوى الألباب فى السماء وفى الأرض فى المـــاء وفى النيران ، فالآيات كثيرة وعلى الانسان أن يتدبر ويعقل ولقـــد شهد الكثير من الأدباء بعظمة هـــذا النص وتأثره بروح الايمان والاسلام اذ « هو فى هذا المطلع يستلهم الذكر الحكيم وما فيـــه من أوصاف الذات العلية وان كل ما يجرى فى الكون بقضائه وان كل ما يأتى من عمل فى كتاب مبين وان كلا سيجزى بما سجل عليه كتابه ، يقول سبحانه « وكل شـــيء أحصيناه كتابا »(٩) وكان أمر الله قدرا مقدورا » « وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(١٠) صدق الله العظيم .

---

(٩) سورة النبأ الآية ٢٩ .
(١٠) سورة يس ٨٢ .

والحق أن تلاوته للقرآن التى اشتهر بها أثرت فى نفسه آثارا عميقة ... وانه استشعر معانيه ومواعظه فمضى يحيلها أبياتا وأشعارا بل قصائد دينية(١١) ، فالمحتوى كله يسير فى فلك المعانى الاسلامية .

ويعلق آخر على هذه القصيدة فيقول : « والقصيدة كلها تنبض بالمعانى الحكمية والملاحظ أن كثيرا من هذه المعانى والكلمات تتطابق حرفيا مع بعض ألفاظ القرآن الكريم وهذا ما يجعلنا نشك فى الرواية التى تقول أن لبيدا قال بعد اسلامه بيتا واحدا من الشعر ، فهذه التى تقول أن ابيدا قال بد اسلامه بيتا واحدا من الشعر ، فهذه القصيدة أكثر التصاقا بالاسلام من الجاهلية علما بأن الشاعر عاش فى الاسلام خمسة وخمسين عاما ولا أظن أنه قضاها دون نظم الشعر وخاصة ذلك الذى يتوافق مع الدعوة الاسلامية ويبشر بالدين الجديد ، وعلى هذا فالأرجح أن تكون هذه القصيدة من وحى الاسلام وأن لبيدا قالها فى عصره الاسلامى »(١٢) .

ولا يعقل أن يكون شاعرا موهوبا مثل لبيد ليصمت خمسة وستين عاما من غير أن يقول شعرا وفى القصيدة روح اسلامى واضح يستغرق الأبيات الستة ، وفى هذه الأبيات تتضح الأفكار الاسلامية والمعانى القرآنية فكل شىء يسير بأمر الله وقضائه وقد قدر الله تعالى على الناس أمره ولا راد لقضاء الله وقدره وليس من طبيعة الأشياء أن يدرك الجاهلى هذه المعانى الاسلامية فلابد أن يكون قائلها قد قرأ القرآن ووقف عند آياته البينات فى قوله :

---

(١١) العصر الاسلامى ص ٩٤ د/ شوقى ضيف .
(١٢) لبيد بن ربيعة ص ٤٤ حسن جعفر .

« واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا »(١٣) •

لقد قرأ لبيد هذه الآيات واستطاع بعد ذلك أن يصوغ هذه المعانى الدينية على هدى من مفاهيم الدين ومعانيه وألفاظه •• واقتبس من القرآن الكريم والسنة الشريفة المعانى الدينية التى تعلمها فى عهد اسلامه •

وان محتوى هذه الأبيات التى دارت حول الاعتراف بوجود الله وان كان بالمعنى العام طرقه الكثير من شعراء الجاهلية ومنهم لبيد فى جاهليته ، ولكن هذه القصيدة بالمعانى الفرعية الكثيرة التى أوردها لبيد والتى توجد مصادرها فى القرآن والسنة لم تكن تتاح للبيد لو أنه لم يدخل الاسلام ويتلو القرآن وهذا ما يشهد بوضوح وصراحة أنه قال شعرا اسلاميا بعد اسلامه •

ويشهد بعمق الروح الاسلامية فى شعره ما حدث من انقلاب فى شعره الاسلامى حيث « انتقل من الألفاظ الحوشية الى الديباجة الطلية فقد تغلغل الاسلام فى ضميره فاتجه فى أشعاره الى ربه منيبا اليه »(١٤) • ويقول عندما خرجت بنو جعفر من الجزيرة سعيا وراء الفتوحات الاسلامية قال(١٥) :

انما يحفظ التقى الأبرار
والى الله يستقر القرار

---

(١٣) سورة الكهف الآية ٢٧ •
(١٤) العصر الاسلامى ص ٩٣ د/ شوقى ضيف •
(١٥) الديوان ص ٧٦ وما بعدها •

الى الله ترجعون وعند اللـــــ
ـــه ورد الأمور والاصـــــدار
كل شيء احصى كتابا وعلمـــا
ولديه تجـــلت الأســـــرار
ان يكن فى الحياة خير فقد انـــ
ـــظرت لو كان ينفـــع الانظـــار
عشت دهرا ولا يدوم على الأيـــ
ـــام الا يرمرم وتعـــــار(١٦)

الى أن يقول :

واقفيهـــــا بكل ثغـــر مخـــوف
هم عليها لعمر جـــدى نضـــار
لم يهنوا المولى على حدث الدهـــ
ـــر ولا تجتويهم الأصـــــحار
فعلى عامر ســـــلام وحمـــد
حيث حلوا من البلاد وســـاروا

والواقع الذى لاشك فيه أن هـــذه القصـــيدة مفعمـــة معانيها بالقرآن العظيم الذى تأثر به بعـــد أن دخل فى الاسلام وتعمق فى فهم معانيـــه .

وينقل بعض الباحثين ما ذكر « أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول :

---

(١٦) يرمرم وتعار : جبلان فى نجد .

« ما أحد أحب الى شعرا من لبيد بن ربيعة ، لذكره الله عز وجل ولأسلامه ولذكر الدين والخير »(١٧) .

وهذه الحجة فى اللغة والنحو تشهد للبيد بأن شعره كان اسلاميا محضا هو رجل مشهود له بالصدق فى الحكم .

ولقد كان لبيد يقف دائما موقف الناصح الواعظ المتعمق فى الاسلام القوى الايمان وقد عززت هذه المواقف من الاقتناع بأن الشاعر — لبيد — قال شعرا كثيرا بعد اسلامه وفى الأسلام كان من القوم الذين حسن اسلامهم فهو كما ذكر فى هذا النص يشيد بالتقوى والسير على طريقة الأبرار واتباع المنهج القويم والاكثار من العمل الصالح لأنه فى النهاية لاشك فى أن كل انسان يجد يوم القيامة ما قدم من عمل فى حياته وان الناس يعرضون على الله فى هذا اليوم وعلى البشر أن يفكروا فى مصيرهم فالأبرار هم حفظة التقى ومبادىء الاسلام والأمناء عليه وعند رجوعهم الى الله سينالون الجزاء الأوفى من الله الذى أحصى كل شىء علما انه عالم الغيب والسر فلقد أعد سبحانه كتبة حافظين يسجلون حسنات الإنسان وسيئاته ، وسوف ينال جزاء ما قدم فى الدنيا أنتى مصيرها للانتهاء ويذهب المرء بعد ذلك الى الدار الآخرة مهما طال به العمر لأنه تبقى لا الجبال والرمال ، والنجوم ، ولا تدوم وتبقى الأعمال الصالحة ، وللشاعر الكثير من القصائد التى تعد دليلا ساطعا على أن لبيد نظم الشعر فى حياته الاسلامية وتأثر فيه بالدين الاسلامى لفظا ومعنى .

---

(١٧) لبيد بن ربيعة ص ٣٤ حسن جعفر نور الدين .

وهذا مظهر من مظاهر تأثره بالإسلام وتأثر شعره الاسلامى بالقرآن الكريم ونظم معانيه واستلهام الأفكار القرآنية وصياغتها على نحو ما هو واضح فى هذه الأبيات التى تحدث ، فيها عن الأبرار والتقوى والعمل الصالح والحساب وتسجيل الأعمال والجنة ونعيمها والنار وعذابها بعد الرجوع الى الله ويستطيع القارىء والحافظ لكتاب الله أن يقف عند الآيات الكريمة التى استقى منها لبيد معانيه من مثل قوله تعالى « ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون »(١٨) .

وقوله : « وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا »(١٩) .

وقوله : « ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب »(٢٠) .

وقوله : « فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما »(٢١) .

وهكذا نجد فى كل بيت من شعره الاسلامى صدى لآية قرآنية كريمة .

ومن قصائده الاسلامية التى يؤكد فيه لبيد ايمانه بالله ومن كمال الايمان التقوى والاحسان وحمد الله الذى بيده الخير والذى يزيد

---

(١٨) سورة هود الآية ١٢٣ .
(١٩) سورة الجن الآية ٢٨ .
(٢٠) سورة النور الآية ٣٨ .
(٢١) سورة النساء الآية ١٧٥ .

بالشكر فعلى الانسان أن يكثر من الحمد والشكر لله الذى لا شريك له « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم »(٢٢) • صدق الله العظيم •

ومن هنا فان تقوى الله وشكره فضل لا يقاس بفضل بارادته يسير الانسان ومن تبع تعاليم الله سبحانه وتعالى — اهتدى ومن خالفها ضل وغوى وفى ذلك يقول لبيد(٢٣) :

ان تقوى ربنا خير نفل ... وباذن الله ريثى وعجل
أحمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل
فاذا جوزيت قرضا فاجزه ... انما يجزى الفتى ليس الجمل
اعمل العيس على علاتها ... انما ينجح أصحاب العمل
واكذب النفس اذا حدثتها ... ان صدق النفس يزرى بالأمل(٢٤)
غير أن لاتكذبنها اذا حدثتها ... واخزها بالبر لله الأجل(٢٥)

ومن هذا النص يتأكد لنا أن لبيدا قال الشعر بعد اسلامه اذ كيف يتحدث عن أهمية البر والاحسان وضرورة العمل الصالح من أجل الفوز والنجاح فى الحياة فالدين الاسلامى يدعو الى العمل فى الدنيا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » وكذلك يدعو الى العمل

---

(٢٢) سورة فاطر الآية ٢ •

(٢٣) الديوان ١٣٩ وما بعدها بتصرف •

(٢٤) أى حدث نفسك بالظفر دائما لتنشطها ولا تحدثها بالخيبة فتثبطها •

(٢٥) أخزها : أقهرها •

والادخار للآخرة والتزود لها فان خير الزاد التقوى وعلى الانسان أن يقهر نفسه بالبر والاحسان ، أسنا نلمح فى هذه الأبيات أثر الروح الاسلامية التى لم تكن بهذه الصورة فى العصر الجاهلى ولا يستطيع أن يصل اليها عصر ما قبل الاسلام .

ولأن هذه المعانى ليست من الخواطر التى يجوز أن تطرأ على الأشخاص أو تتشبث بها عقولهم لأن المجتمع الجاهلى مجتمع مضطرب يجمع المتناقضات فمن الأعمال السيئة الثأر وقتل البنات والاعتداء على القبائل الآمنة واستلال السيوف والنهب ، ومن الأعمال الحسنة قرى الضيف واغاثة الملهوف وايواء الضعفاء ونجدة ذوى الحاجة وغير ذلك من المعانى التى جاء بها الاسلام والتى من شأنها أن تقيم حياة الناس على مبادىء الاسلام والمسالمة والاقرار بالحقوق ولم تكن تطرق أفكارهم ومشاعرهم هذه السلوكيات من غير رجوع الى القرآن الكريم ونظم لبيد لها دليل على أنه تأثر بالقرآن الكريم .

ولقد كان لبيد شاعرا فحلا يقول الشعر ويستشهد به الناس ويتسامرون ليسمعوا ما قاله ولقد وجد الكثير والجديد فى شعره على رغم من تقدمه فى السن وذلك حينما دخل الاسلام وتفهم معانى الدين الجديد وعكف على تلاوة القرآن الكريم يتعلمه ويحفظ سوره وآياته ويتأثر به .

ونجد من الجديد فى شعره ما سار فى ركاب الأحداث الاسلامية التى لازمت الدعوة منذ نشأتها حتى اتسعت الرقعة الاسلامية وقد أخذ يظهر ذلك عندما أخذ يذكر قومه الذين ذهبوا مع الجند الاسلامى

الفاتح للعراق والشام ليجاهدوا فى سبيل الله وشعر الجهاد من الأغراض الجديدة فى عصر صدر الاسلام ، وفى ذلك يقول(٢٦) :

إنما يحفظ التقى الأبرار ... والى الله يستقر القرار
كل شيء أحصى كتابا وعلما ... ولديه تجلت الأسرار
واقفيها بكل ثغر مخوف ... هم عليها لعمرى جدى نضار
فعلى عامر سلام وحمد ... حيث حلوا من البلاد وساروا

وهو هنا يذكر هجرة قومه نحو الفتوح للجهاد فى سبيل الله ويدعو لهم حيث حلوا وساروا ولعله تخلف عنهم لكبر سنه والمهم أنه قال شعرا بعد اسلامه .

ويتحدث الشاعر الى ابنتيه ينصح عن فعل الجاهلية والاقلاع عما كان يفعله النساء فى العصر الجاهلى من مثل حلق الشعر وخمش الوجوه وخلافهما وهذا كله بفضل الاسلام الذى هداه الله اليه وفى هذا يقول(٢٧) :

تتمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا الا من ربيعة أو مضر
وناعتان تندبان بعاقل
أخائفة لا عين منه ولا أثر
وفى ابنى نزار اسوة ان جزعتما
وان تسألاهم تخبرا فيهم الخبر

---

(٢٦) الديوان ٧٦ وما بعدها .
(٢٧) الديوان ص ٧٩ .

وفيمن سواهم من ملوك وسوقة
دعائم عرش خسانه الدهر فانقعر
فقوما فقولا بالذى قد علمتما
ولا تخمشا وجها وتحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا خايله
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ويروى فيها بيتان آخران وهما :

حشود على المقرى اذا البزل ما ردت
سريع الى الداعى مطاع اذا أمر
وقد كنت جلدا فى الحياة مرزا
وقد كنت أنوى الخير والفضل والذخر

ولعل الشاعر قد فطن الى ما تفعله النساء على الميت من أفعال تتنافى وتعاليم الاسلام فأراد أن يذكر ويوصى ابنتيه بأداب الاسلام اذا ما مات وفارق الحياة تجنبا لعادات الجاهلية من الجزع على الفقيد فنهاهما عن النواح وخمش الوجه وحلق الشعر الذى نهى الاسلام عنه، بل ويدعوهما الى ذكر الفضائل والشيم التى يحبها الاسلام ويرغب فيها من مثل الوفاء والأمانة والبر والصلاح فيقول :

فقوما فقولا بالذى قد علمتما .....

وهذا يدل على معرفة لبيد برأى الدين فى النواح والعويل

والجزع على الميت وان كل ذلك لا يتفق وروح الاسلام والاستسلام لله رب العالمين وان الميت يعذب فى قبره بسبب النياح عليه وقد وعى حديث الرسول — ﷺ — « الميت يعذب فى قبره بما ينيح عليه » (٢٨)

كما انه كان من الزهاد الناسكين وقد كان لبيد شيخا كبيرا لم تؤهله سنه الخوض فى تصوير الحروب ، هذا بالاضافة الى أنه كان يتسم بالهدوء والمسالمة مما جعله يرغب فى الانزواء والاعتزال ويظهر ذلك من خلال قصائده التى تكثر من الحكم والتأمل يدركها المتدبر فى شعره .

ولو كانت القضية قضية أدلة فان الأدلة كثيرة ومن يتعقب شعره سيعثر على عدد وفير من شعره الاسلامى ويمكن أن نبرهن على صحة ما نقول عندما نذكر بعض الأدلة التى تشهد بقوله شعرا فى الاسلام يقول الأصمعى قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول :

« ما أحد أحب الى شعرا من لبيد بن ربيعة لذكره الله عز وجل ولاسلامه ولذكره الدين والخير » ، ويقول سعيد بن حسان المخزومى قال : سمعت عبد الملك بن عمير يحدث أن لبيدا الشاعر قام على أبى بكر رحمه الله فقال : « ألا كل شىء ما خلا الله باطل فقال صدقت ، قال : وكل نعيم لا محالة زائل .

قال كذبت عند الله نعيم لا يزول .

وكذلك قيل ان لبيدا كان فى مجلس ينشدهم :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

---

(٢٨) صحيح مسلم ١/٤٣ .

فقال عثمان : صدقت ، ثم أنشد لبيد باقى البيت :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان كذبت فاسكت القوم ولم يدروا ما أراد بذلك ثم أعادها ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الجنة لا يزول »(٢٩) .

واذا كان الموقف كان لأبى بكر رضى الله عنه أو لعثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ فالمهم أنه قال ذلك بعد الاسلام .

ومن قصائده التى يتحدث فيها عن طول عمره وسأمه من الحياة ويتحدث عن مآثره ويوازن بين ما كان وما صار اليه من ضعف وهذه بالطبع اسلامية(٣٠) :

قضى الأمور وانجز الموعود
والله ربى ماجد محمود
وله الفواضل والنوافل والعلا
وله أتيت الخير والمعدود
ولقد بلت أرم وعاد كيده
ولقد بلته بعد ذاك ثمود
خلو ثيابهم على عوراتهم
فهم بأقنية البيوت همود

---

(٢٩) انظر الموشح ص ١٠٠ ، ١٠١ للمرزبانى ط دار نهضة مصر ١٩٦٥م .

(٣٠) الديوان ٤٦ وما بعدها .

ولقـد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هـذا الناس كيف لبيـد

غلب العـزاء وكنت غير مغلب
دهـر طويل دائم ممـدود

يوم اذا يأتى على وليلـة
وكلاهما بعـد المضاء يعـود

وأراه يأتى مثـل يوم لقيتـه
لم ينصرم وضعفت وهو شـديد

وحميت قومى اذ دعتنى عامـر
وتقـدمت يوم الغبيط وفـود

وتدأكأت أركان كل قبيـلة
وفوارس الملك الهمـام تـذود

أكرمت عرضى أن ينـال بنجـوة
ان البرىء من الهنـات سـعيد

ما إن أهاب اذ السرادق غمـه
قرع القسى وأرعشى السرمديد

ولو تأملنا بما ذكره الشاعر وما أشار اليه من طول أجله وامتداد عمره لأدركنا أن هـذه القصـيدة نظمها وهو فى مرحـلة الشيخوخة وتقدم السن ، لأن الشاعر يعقد فيها مقارنة بين المـاضى من أيـام الشباب والحاضر الذى صار اليه من كبر السن وضـعف البدن وعلة الجسم حتى سئم الحياة وملها(٣١) .

---

(٣١) لبيد ص ١٥٤ حسن جعفر .

وأعتقد أن الواقع يؤيد أن تصويره لحياة الحاضر يشير الى تأخر السن به الى ما بعد اسلامه بسنين عدة أى أن هذا النص قيل وقد مضى على اسلامه حقبة من الزمن لا تقدر بأقل من عشر سنوات .

ولا يصح أن يظن البعض أن هذه القصيدة ومثيلاتها قيلت قبل اسلامه ، لأنه من الطبيعى أن فترة ما قبل اسلامه وعمره فى هذا الوقت لم يكن يتجاوز فترة القوة والشباب ، وحب الحياة ولو كان كذلك لما تحدث بما قال ولما عبر صور اذا كان هذا صحيحا وأظنه صحيحا ، ومن هنا يصح أن نقول ان شعر لبيد كان بعد اسلامه كثير والعكس غير صحيح .

ولقد أشارت أغلب المصادر أنه مات فى آخر أيام معاوية بن أبى سفيان فمعنى ذلك أنه قاله بعد مضى الكثير من الأعوام التى مرت عليه وهو مسلم اذ أن الشاعر عاش تسعين سنة فى الجاهلية وخمسة وخمسين فى الاسلام أى أن هذا النص قيل فى المدة الثانية بعد اسلامه أى بعد أن بلغ من العمر عتيا ، ويدل على ذلك ويؤكده وجود أثر المعانى القرآنية والروح الاسلامية التى تخللت النص « قضى الأمور » « انجز الموعود » ، « بلت ارم وعاد » .... الخ ، ولا أظن أنه ثمة حاجة الى ذكر كل ما ورد فيه من أدلة تؤكد تأثره بالاسلام ولم لا وقد مضى وقت كاف على اسلامه يجعله يتأثر فى ألفاظه ومعانيه وأسلوبه بالقرآن الكريم وتظهر ملامح الأدب الاسلامى فى شعره اذ يراد بالأدب الاسلامى التعبير الجميل البليغ عن الانسان

والكون والحياة من خلال التصور الاسلامى لهذا الوجود وما فيه(٣٢) ٠

وقد بدت ملامح الثقافة الاسلامية فى هذا النص ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل وجد الكثير من قصائده الاسلامية ٠ والتى تمثلت فى مظاهر شعره الفنية وهى تعد دليلا آخر يضاف الى ما سبق من أدلة تثبت وجود الكثير من النصوص الشعرية التى قالها بعد اسلامه ٠

---

(٣٢) نحو أدب اسلامى ص ٢٧ ٠

المظاهر الفنية لاسلاميات لبيـــد

أولا ــ فى الفنون والأغراض :

من الأمور المسلم بها أن الشاعر بطبعه يستمد ما يقوله من الشعر فى أى غرض من الأغراض من بيئتــه التى يعيش فيهــا الذى يتميز بأسلوبه وعاداته ومنهجه وتقاليــده •

وفنون الشعر تعتبر مظهرا من مظاهر البيئة لأن الشاعر يعيش فيها ويتعايش معها ولبيــد شاعر جاهلى اســلامى عاش فى العصر الجــاهلى وتعلم منــه واكتسب منــه خبرة ومعرفة ظهرت آثارها فى شعره وأغراضــه •

وسأتحدث عن ما أستطيع أن أذكره فى هــذا المقام لأنهــا من الكثرة والوفرة التى لا تسمح بذكرها كلها حسب ما وجــد فى المصادر والمراجع والسيرة ولكن نكتفى بذكر بعض مما ذكره الشاعر من فخــر ورثاء ، ووصف وحكم وأمثال ووصايا وجهاد سواء فى الاسلام وعلى ذلك سأسير والله المستعان وسأحاول بقــدر المستطاع أن أوازن بين شعره فى العصرين الجاهلى ، والاسلامى كى ندرك ما جــد فى شعره من أغراض طرقها ولونها بلون الحياة الاسلامية الجديدة وسار فيها على منهج الدين الاسلامى ومن هــذه الأغراض ما نجــده فى بعض المفاخر والحكم والاستشهاد بالأمثال وكل ما وافــق الآيات القرآنية الكريمة فلقــد كان فى الجاهلية يؤمن بالبعث والنشور والحساب ، وأن كلّ شىء صــائر الى الزوال ويقول فى ذلك(١) :

---

(١) الديوان ص ١٣٢ والشعر والشعراء ص ٢٨٥ •

أرى الناس لا يدركون ما قدر أمرهم
يلى كل ذى لب الى الله واسل
الا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

قيل ان عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ عندما سمع هذا البيت قال : كذبت نعيم الجنة لا يزول ، وبعد دخوله فى الاسلام غير الكثير من المعانى التى تعلمها وقالها وأخذ من معانى القرآن الكريم وفى ذلك يقول(٢) :

انما يحفظ التقى الأبرار والى الله يستقر القرار
والى الله ترجعون وعند الله ورد الأمور والاصدار
كل شىء أحصى كتابا وعلما ولديه تجات الأسرار

ويقول أيضا يرهب الشيخوخة « من الحكمة » :

أليس ورائى ان تراخت منيتى
لزوم العصا تمنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت
أدب كانى كلما قمت راكع

فالشاعر يستمد فنونه وأغراضه من صميم الواقع الذى يعيشه ويتعايش معه ولهذا فقد وجدنا الشاعر ــ لبيد ــ صور فى شعره فى العصر الجاهلى حياته التى عاشها ومعالم الحياة فى هذا العصر : ففخر ومدح وهجاء ووصف الى غير ذلك من مظاهر البيئة التى عاش

---

(٢) الديوان ص ٨٩ والشعر والشعراء ١/٢٨٥ .

فيها وتفاعل مع مظاهرها أما فى عصر صدر الاسلام فقد تغير الوضع عما كان فى العصر الجاهلى وتبدلت العادات والتقاليد تبعا لظروف العصر الجديد والدين الاسلامى العظيم فظهرت أمور جديدة وليدة الظروف والمجتمع الذى أخذ يتخلى عن بعض القديم وكذلك أبقى على بعض القديم الذى يتماشى مع روح الدين الاسلامى ، كما وانه ظهرت أغراض جديدة أوجدتها روح الاسلام واذا نظرنا الى شعر لبيد فاننا نجد أغراضا للشعر عنده متنوعة منها ما ترك وأهمل بعد اسلامه ومنها ما بدت عليه مسحات من التجديد ، ومنها ما هو وليد جديد .

أولا ــ بعض ما هجره من الشعر :

لقد كان من طبيعته الوقار والتعقل وميله نحو المسالمة فلم يكن من فرسان الهجاء وكان بينه وبين الهجاء حاجزا وكان عف اللسان حسن الأخلاق ، وهذه صفات تحول بينه وبين غرض الهجاء الا ما كان يضطر اليه ويدفع اليه دفعا فلابد حينئذ أن يدافع عن نفسه أو عن قومه ومع كل هذا فهو لا يهجو الهجاء الفاحش القاسى ولكنه يتوعد ويهدد ويعاتب وينذر فى ألفاظ عفيفة وفى أبيات قصيرة لا تطول .

ولكن توجد له أرجوزة يقال انها وحيدة شذت عن جميع شعره لما فيها من سوء واقذاع يهجو بها الربيع بن زياد العبسى بعدما هجى لبيدا فى مجلس النعمان ورماه فيها بالبرص وفيها تصوير نفر منه النفس يقول فيها(٣) :

---

(٣) راجع لبيد ص ٣٦٩ د/ الجبورى ، الديوان ص ٩٢ فى مناسبة النص .

لا ترجر الفتيان عن ســـوء الدعة
يا رب هيجـا هى خـير من دعـــه
نحن بنو أم البنـــين الأربعـــة
ونحـن خـــير عامر بن صعصعة
يخبرك عن هـذا خبـير فاسـمعه
ســهلا أبيت اللعن لا تأكله معـه
ان اسـنه من برص ملمعـــــه
وانه يدخـل فيهـا اصـــبعه
يدخلهـا حتى يوارى أشـــجعه
كانمـا يطلب شـــيئا ضـيعه(٤)

ويقال انه قال هـذه الأرجوزة وهو فى مقتبل عمره أى وهـو شاب فى أول عهده بالشعر ولذلك نجد فيها روح العصر الجاهلى لذلك تعتبر من أفحش ما قاله وهو صبى ولكنه بعـد ذلك ترفع عن مثل هذا الفحش وأخذ يهجو هجاء عفيفا ولنقرأ فى شعره ردا على عـدوان السندى فى المنافرة بين عامر وعلقمة وهو يذكر أن عامر بن الطفيل دعا لبيـدا لينتصر له ويتجه بالهجاء والسب الى علقمة ومن معـه وعندئذ أخـذ لبيـد يقول(٥) :

لمـا دعانى عامـر لأســبهم
أبيت وان كان ابن عيساء ظالمـا(٦)

---

(٤) الديوان ص ٩٤ .
(٥) الديوان ص ١٩٩ .
(٦) وابن عيساء هو السندى وعيساء أمه أو جدته .

لكيمـا يـكون السيدى نديدتى
واجعل أقـواما عموما عماعما

وأنبش من تحت القيـود أبوة
كراما هم شـدوا على القمائما

لعبـت على أكتـافهم وحجورهم
وليـدا وسمونى مفيـدا وعاصما

بلى اينـا ما كان شـرا لمـالك
فـلازال فى الدنيـا ملوما ولائمـا

وعلى ما تقدم فقد أعرض عن قول الهجـاء بعـد دخـوله فى الاسلام فلقد حسن اسـلامه وكبر سـنه وتأثر تأثرا كبـيرا بالآيات القرآنية التى كان يتلوها وشغلته عن بعض قول الشعر وهذا ما يؤكده قوله ردا على ما طلبـه منـه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنـه ـ وقال : ابدلنى الله هـذا فى الاسلام مـكان الشعر وكتب له سـورة البقـرة .

كذلك من الأغراض التى هجرها بعد اسلامه غرض الغزل ووصف الخمر وأباريقها وكان فى الجاهلية يذكرها غرضا كما تعود شـعراء العصر الجاهلى اذ كانوا يذكرونها فى بداية قصـائدهم وقـد كانت مكانته وما عرف عنـه من صفات حميدة حتى فى عصر ما قبل اسلامه تحول دون الهجاء وعفة لسانه تمنعه من أن يخوض فى أعراض الناس كما أن وقاره ونظرته الى الحياة بكل جدية سببا من أسباب تأخره فى الغزل وكذلك انصرافه عن اللهو ، وأحاديث النساء غير أننا نجد بعض أبيات له قايلة فقـد كان مثلا يذكر البيتين أو الثلاثة يتغزل فيها لينتقل

فيها الى موضوع آخر كذكر الديار حيث ذكر بعض أسماء النساء كـ « أسماء ، وسلمى ، وخولة ، ونوار ، وهند ... الخ » وهذا ما درج عليه الجاهليون ذلك كما يقول(٧) :

أو لم تكن تدرى نوار بأننى
وصال عقد حبائل جذامها

وقوله(٨) :

ضاقت أسماء بالرجال فقد
هيج منى خيالها طربا

والغزل لديه وسيلة لموضوع آخر وأداة يعبر بها الى غرضه المطلوب مثل قوله(٩) :

يرضن صعاب الدر فى كل حجة
ولو لم تكن أعناقهن عواطلا

غرائر أبكار عليها مهابة
وعون كرام يرتدين الوصائلا

ثم استمر يفصل فى ذكر الخمر وقدحها وأباريقها وسقاتها فيقول :

لذيذا ومنقوعا بصافى مخيلة
من الناصح المختوم من خمر بابلا

---

(٧) من معلقته بالديوان ص ١٦٣ .
(٨) الديوان ص ٢٠ .
(٩) الديوان ص ١١٨ وما بعدها .

يشن عليها من ســـــلافة بـــارق
ســـنا وصـــفا من آخر الليل ســـائلا

الى أن يقول :

اذا صفقت يوما لأربـــاب ربهـــا
سمعت لها من واكف العطب وائـــلا

ثانيـــا ــ فى الألفاظ والأسلوب :

وبنظرة سريعة الى ألفاظ لبيـــد بن ربيعـــة نرى أن أسلوبه فى الاسلام كان جزلا وألفاظه رصينة وقد ظهر أثر الاسلام فى تهـــذيب أسلوبه الشعرى وألفاظه فقـــد بعد عن الحوشى والغريب الذى عرف عنه فى العصر الجاهلى اذ كان متأثرا بالطابع البدوى الموروث وهى كثرة الغريب والحوشى وليس ذلك بعيب فى عصره الجاهلى لأن ذلك مذهب العرب القدامى لأثر البيئة البدوية الجافة الخشنة والتى تغيرت بعـــد الاسلام وأثر القرآن الكريم فى أسلوبهم وألفاظهم ، كما أثر فى تفكيرهم وعقولهم ومعـــانيهم وخيالاتهم وهـــذا ما يجعلنا نقول ان شعر لبيد ينقسم الى قسمين : قسم جاهلى ، وقسم اسلامى ، ومن يتصفح شعره الجاهلى يتضح له الأسلوب ويظهر له الألفاظ التى تشهد له بالغرابة ، ففى مطلع معلقته يقول(١٠) :

---

(١٠) شرح المعلقات السبع ص ١٠٦ وما بعدها للزوزنى الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ ــ ١٩٦٦ .

عفـت الديـار محلهـا فمقـامها
بمنى تأبد غولها فرجـامها(١١)
فمدافع الريان عـرى رسـمها
خلقا كما ضمن الوحى سلامها(١٢)
ومن تجرم بعـد عهـد أنيسـها
حجج خلون حـلالها وحرامها(١٣)
رزقت مرابيـع النجـوم وصـابها
ودق الرواعد جودها فرهامها(١٤)
من كل سارية وغـاد مدجـن
وعشـية متجاوب أرزامها(١٥)

---

(١١) تأبد : توحش وكذلك أبدا يأبد أبودا ـ الغولها الرجام : جبـلان ٠

(١٢) المدامع : أماكن يندفع منها المـاء ـ عرى : التعرية مصدر من عريته فعرى وتعرى ٠ الوحى : الكتاب والجمع الوحى ٠ السلام : الحجارة الواحدة سلمة بالكسر ٠

(١٣) التجرم : التكمل والانقطاع ٠

(١٤) مرابيع النجـوم : الأنواء الربيعية وهى المنازل التى تحملها الشمس فى فصل الربيع الواحد ٠ مرباع ٠ صابها : الصوب الاصابة ٠ الجود : المطر التام العام ٠ الرهام والرهم جمعا رهمة وهى المطرة التى فيها لين ٠

(١٥) السارية : السحابة المـاطرة ليلا ٠ والجمع السـوارى ٠ المدجن : الملبس أفاق السماء بظلامه للفرط كثافته ٠ الارزام : التصويب٠

فعـــلا فـــروع ايقهـــان وأطفلـــت
بالجهلتين ظباؤها ونعـــامها(١٦)
ولعـــين ســـاكنة على أطـــلائها
عوذا تأجل بالفضـــاء بهامها(١٧)
وجـــلا السيول عن الطلوب كأنها
زبر مجـــد متونها أقلامها(١٨)

ونحن لا نريد أن نطيل فى سرد شعره فى العصر الجاهلى وانما نريد أن نذكر مثالا كى ندلل به على صـــحة ما نقوله من أن شـــعره الاسلامى كان يختلف عن شعره الجاهلى فى اللفظ والأسلوب « وشعره الجاهلى دائما على هذه الوتيرة .. وهو فى ذلك كله يتميز بالاغراب الشديد فى لفظه حتى ليحس قارئه شيئا من الضجر لكثرة ما يورد من أوابد الألفاظ وحوشيها »(١٩) ، وهـــذا ما جعـــل الكثير من النقـــاد القدماء يصفونه بالغرابة المفرطة وان ألفاظه متناهية فى الاغراب ومن ثم وصف شعره أبو عمرو بن العلاء فقال :

« ... انه رحى بزر » يريـــد أنه خشن لا يحسن فى السمع ،

---

(١٦) الايهقان : ضرب من النبت وهو الجرجير البرى ، أطفلت : أى صارت ذوات أطفال اليمهلتان : جانبا الوادى .

(١٧) أطلائها : الطلا ولد الوحش حين يولد الى أن يأتى عليه شهر . العوذ الحديثات الأجل : القطيع من بقر الوحش .
البهام : أولاد الضأن اذا اختلطت بأولاد الضأن اولاد المعزى .

(١٨) جلا : كشف بجلو جلاء .

(١٩) العصر الاسلامى ص ٩٢ د/ شوقى ضيف دار المعارف .

وقال الأصمعى « شعر لبيد كأنه طيلسان طبراني أى محكم الصنعة وليست له حلاوة »(٢٠) ، هذه سمة شعره من حيث الألفاظ والأسلوب فى العصر الجاهلى .

أما اذا انتقلنا من شعره فى العصر الجاهلى الى شعره الاسلامى فاننا نجد الفرق واضحا وجليا فقد تأثر بالقرآن الكريم فى المعانى — كما مر — وقد رأينا أثر القرآن ليس مقصورا على المعنى فقط وانما وجدناه تأثر بالقرآن الكريم من جهة الألفاظ والأسلوب ، ولا نريد أن نطيل فى ذلك لأنه ليس بالأمر الخفى أو الذى يحتاج الى جهد وعناء فى كشف تأثره بألفاظ القرآن الكريم وأسلوبه ، ولهذا يقول الدكتور شوقى ضيف : « واذا انتقلنا من هذا القسم — القسم الجاهلى — الى شعره الاسلامى وجدنا قراءته للقرآن الكريم تهذيب من لفظه ويتدخل عليه غير قليل من الطلاوة ومن ثم يقول ابن سلام : « كان عذب المنطق رقيق حواشى الكلام وكان مسلما رجل صدق » ويتضح ذلك فى مراثيه المشهورة لأخيه أربد ، فان لألفاظها ماء ورونقا وفى معانيها من الاسلام أصداء وظلالا ، وارجع الى عينيته فستجد جمال السبك والصياغة وستجد الروح الاسلامية ماثلة فى تضاعيف أبياتها(٢١) على شاكلة قوله :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

---

(٢٠) الموشح ص ١٠٠ المرزبانى .
(٢١) العصر الاسلامى ص ٩٢ د/ شوقى ضيف .

فلا جـزع أن فـرق الدهر بيننـا
وكل فتى يوما به الدهـر فاجـع

ويمضي فى كثير من أبياته الاسلامية يذكر ويعظ بأسلوب سـهل عذب وألفاظ رقيقة واضـحة المعانى سهلة المبانى .

وهنا نجد أن أثر القرآن الكريم فى سهولة ألفاظه عكس ما كان عليه لفظه فى العصر الجاهلى ولك أن تلاحظ ألفاظه الواضحة نظرا لأثر القرآن الكريم فى قوله (٢٢) :

رأيت التقى والحمد خير تجـارة
رباحا اذا ما المرء أصبح ثاقلا

وهل هو الا ما تبنى فى حياته
اذا قذفوا فوق الضريح الجنـادلا

واثنوا عليـه بالذى كان عنده
وعض عليـه العائدات الأناملا

لقد تأثر لبيد بألفاظ القرآن الكريم وأفكاره ومعـانيه والديوان مملوء بالقصائد والأبيات ومنها ما يكاد يكون نظما لبعض آيات القرآن الكريم الحكيم لا فى معانيه وحسب ولكن فى ألفاظه أيضا ومنها :

انما يحفظ التقى الأبـرار والى الله يستقر القـرار

وقـوله :

الحمد لله فـلا نـد لـه بيديه الخير ما شاء فعـل

---

(٢٢) الديوان ص ١١٩ .

وقـــوله :

من هذه سبيل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وفى كل أشعاره الاسلامية نجد قمى ألفاظه بيانا ووضوحا ورونقا وبين ألفاظه سبك وجمال صياغة وليس ذلك بغريب على شـــاعر تأثر بالقرآن الكريم وتأثر بالحديث النبوى الشريف •

وكذلك نجد أثر القرآن الكريم واضـــحا فى بكاء أربـــد قال ابن اسحاق قال لبيد يبكى أربد(٢٣) :

ما ان تعدى المنون من أحد لا والد مشـــفق ولا ولد
فعين هـــلا بكيت أربـــد اذ قسمنا وقام النساء فى كبد
كل بنى حـــرة مصـــــيرهم قل وان أكثرت من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا يوما فهم للهـــلاك والنفد

فنجد فى البيت الأول : « لا والد •• ولا ولد » وفى البيت الثانى قوله « فى كبد » •

وكذلك قـــوله(٢٤) :

يذكرنى بأربد كـــل خصـــم ألـــد تختـــال خطته ضرارا
اذا اقتصدوا فمقتصد كريم وان جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا اذا ما دليل القـــوم بالموماة جـــارا

---

(٢٣) السيرة النبوية ٤/٤٠٩ لابن هشام •
(٢٤) المرجع السابق ٤/٤١١ •

فنجد كلمة « ألد » ، ، وفى الثانى « اقتصد ــ فمقتصد كريم » ومن يتدبر هذه الألفاظ يجدها مأخوذة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وهــذا يدل على شدة تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، فقد وصل تأثره لدرجة جعلته يقتبس بعض الألفاظ ويضمن أشعاره العديد من كلمات القرآن الكريم والأحاديث .

وفى بعض الأبيات نجده متأثرا بالمعــانى والأفكار والألفاظ ومن ذلك قوله فى بكاء أربد أيضا(٢٥) :

قولا هو البطــل الحــــا مى حــين يكسون الحديدا
ويصــد عنــا الظاليــــ ــن اذا لقينا القوم صيدا
فاعتقــاه رب البريــــــ ــة اذا رأى أن لا خلــودا

ففى البيت الأخير يذكر لفظ رب البرية ، لا خاودا ، وكلها ألفاظ اسلامية ولا تحتاج الى دليل على تأثره بالاسلام والقرآن الكريم ، هــذا من جهة ، ومن جهة أخرى فهى تؤكد ما نريد الوصول اليه من أن لبيــدا قال شعرا كثيرا بعد اسلامه ، وخصوصا قصائده فى رثــاء أخيه أربد ، والتى بلغت ما يقرب من احدى عشرة قصيدة وكما يذكر بعض الباحثين « .. كان لبيد مســلما قبل موت أخيه أربد هذا بعام على الأقل وكل شعر ورد للبيد فى رثاء أخيــه أربــد هو من الشعر الاسلامى وقــد بدا فى جزء منه استسلامه للقضاء وتأثره بالاسلام ، واقتباسه من القرآن الكريم مما يوضح أن هــذا الجزء قيل فى فترة متأخرة من اسلام لبيــد بعد أن خف أثر الفاجعة فيــه وتقدمت به السن وازداد وعيه بالأسلام وايمانه بقضاء الله فى الانسان »(٢٦) .

---

(٢٥) المرجع السابق ٤/٤١١ .

(٢٦) الشعر الاسلامى ص ٨٣ ــ ٨٤ د/ عبد السلام عبد الحفيظ .

ومن يتصفح ديوان لبيد يجد الكثير من شعره قيل بعد اسلامه ويدل على أنها قيلت بعد اسلامه أننا نجد أبياتا تكاد تكون نظما لبعض آيات القرآن الكريم لا فى معانيه فقط ولكن فى ألفاظه ومعانيه وينتج من كل ما ذكرناه أن لبيدا لم ينقطع شعره بعد اسلامه كذلك لم يكن كما قال ابن قتيبة : « ولم يقل شعرا فى الاسلام الا بيتا واحدا »(٢٧) .

وانما وجدت له أشعار كثيرة قيلت فى الاسلام ونحن لم نستقص بالطبع كل ما ورد من ذلك فى شعر لبيد لأنا لم نرد أكثر من الاستدلال على صحة ما نقول وهو له الكثير من القصائد والمقطوعات التى قيلت له بعد دخوله فى الاسلام والتى نجد فيها سمات من روح الاسلام التى نشأ عليها وارتبط بها وتزود من تعاليمه واقتبس مما حفظ من القرآن الكريم والأحاديث النبوية التى هذبت ألفاظ شعره وسمت بمعانيه وأغراضه ولم لا ... ؟ وهو يعد من أجود الشعراء المسلمين شعرا وأرهفهم حسا وأروعهم صلاحا وزهدا ، لذا أرى أنه بلغ منزلة رفيعة وسامية فى نفوس المسلمين كما كان ذو منزلة عظيمة فى نفوس الشعراء والأدباء فأعجبوا بشعره أيما اعجاب فتناشدوا شعره وتمثلوا به وأصبح حديث الأسمار ، والمجالس « ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة فى مرضه : لولا ما من الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد(٢٨) :

---

(٢٧) الشعر والشعراء ١/٢٨١ .

(٢٨) الكامل فى اللغة والأدب ٤/٣٢٦ للمبرد مكتبة المعارف بيروت لبنان .

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وكذلك استمد الشعراء من شعره الجمال والفصاحة والأمثال والحكم وكل ما وافق الآيات القرآنية الكريمة فلقد كان فى الجاهلية يؤمن بأمور بعضها يتحقق والدين الاسلامى وبعد دخوله فى الاسلام غير الكثير من المعانى التى لا تتفق ومبادىء الاسلام وأخذ بدلا منها معان من القرآن الحكيم وعلى سبيل المثال كما مر يقول(٢٩) :

انما يحفظ التقى الأبرار والى الله يستقر القرار
والى الله ترجعون وعند الله ورد الأمور والاصدار

وغير ذلك كثير منها ما ذكر ومنها ما لم نذكر .

ولقد كان صاحب نفس مسلمة نقية صالحة طالما ذكرت الرب جل وعز وتأملت وتفكرت فى مخلوقاته وآلائه وسبحت بحمده وقد جمع فى شعره الكثير من الكنوز العظيمة فى المعانى والألفاظ مما يدل على تأثره بالاسلام وقوله شعرا كثيرا بعد الاسلام .

واذا كانت الأغراض والمعانى والألفاظ قد تأثرت بالاسلام عند لبيد فلاشك أن تكون الأساليب قد تأثرت بالروح الدينية الجديدة لأن الأساليب هى المظهر أو الشكل الذى يحتوى المعنى ويتضمنه وقد مضى الكثير من النصوص التى توضح ذلك ويكون من التكرار أن نعيد بعض النصوص كى نتحدث عن الأساليب وتأثرها بالاسلام ، ولذا فسنقتصر الحديث هنا على تأثير النصوص القرآنية فى شعره الاسلامى الذى

---

(٢٩) الديوان ص ٨٩ ، الشعر والشعراء ١/٢٨٥ .

أفاد منها افادة عظيمة يقتبسها أحيانا بنصوصها ويستوحيها كثيرا بروحها ومعانيها وقد سبق أن ذكرنا قوله(٣٠) :

انما يحفظ التقى الأبرار والى الله يستقر القرار

فالشطر الثانى يكاد يكون نظم لقوله تعالى : « الى ربك يومئذ المستقر »(٣١) .

وقول لبيد فى رثاء أربد(٣٢) :

ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثى وعجل

فى الشطر الأول هو نفس نظم وأسلوب قوله تعالى « ان خير الزاد التقوى »(٣٣) .

وهناك الكثير من مثل ذلك ولكن استقصاء هذه الآثار الاسلامية فى شعر لبيد أمر فوق حجم وطاقة هذا البحث ولكن ما ذكر يدل دلالة واضحة وموثقة على أثر القرآن الكريم فى شعر لبيد الذى عاش فى الاسلام وطال عمره حتى ظهرت فى أساليبه الشعرية وصارت وسيلة من وسائل الصياغة الفنية عند الشاعر فى شعره .

---

(٣٠) الديوان ص ٤١ .
(٣١) الآية ١٢ سورة القيامة .
(٣٢) الديوان ص ١٧٤ .
(٣٣) الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

ثالثـــا ــ من حيث المعـــانى :

أو نظرنا الى المعانى فانها تكون غليظة وغريبة أحيـــانا أو الغرابة ليست فى المعانى نفسها ولكن فى الوصف ذاته فنرى ذلك فى وصف الآتان عنـــدما يقول(٣٤) :

كأن قتـــودى فـــوق جأب مطـــرد
يغـــز نخوصا بالبراعيم حائـــلا
رعاها مصب المزن حتى تعيفـــا
فعاف القتـــان ساكنا فالأجـــادلا
ولازال النسيل عن زحاليف متنه
فأصـــبح ممتـــد الطريقـــة قافلا

وقد يكون المعنى غريبا بسبب بعـــد التشبيه أو الغـــلو كما ذكر ذلك صاحب الموشح تحت عنوان « التشبيهات البعيدة والغلو » قـــول لبيـــد بن ربيعة(٣٥) :

فخمة ذفراء ترنى بالعـــرى قردمانيا وتركا كالبصل(٣٦)

فشبه البيضة بالبصـــل وهو بعيد وان كانا يتشابهان من جهـــة الاســـتدارة لبعد ما بينهما فى الجنس وهو من ردىء التشبيه ، وعده

---

(٣٤) الديوان ص ١١٣ .

(٣٥) الديوان ص ١٤٦ والموشح ص ١٣١ للمرزبانى تحقيق على محمد البجاوى دار نهضة مصر .

(٣٦) القردمانية : الدروع الغليظة ، وقال أبو عبيدة : القردمانية : قباء محشو يتخذ للحرب فارس معرب ــ التريكة : بيضة : الحديد للرأس

أبو هلال العسكرى من المأخذ عليه وجعله فى قبيح التشبيه وعيوبه ، حيث قال(٣٧) : « التشبيه يقبح اذا كان على خلاف ما وصفنا .. من اخراج الظاهر فيه الى الخفى أو المكشوف الى المستور والكبير الى الصغير » .

ولكن علينا أن ننظر هذه الرقة التى قد لا تصدر من بدوى فيقول فى رثاء الأحوص وهو عوف بن الأحوص الشجاع رجل الفوارس والحرب فيقول(٣٨) :

قومى اذا نام الخلى ... فابنى عوف الفواضل
عوف الفوارس والمجا ... لس والصواهل والذوابل
يا عوف احلم كل ذى ... حلم وأقول كل قائل
يا عوف كنت امامنا ... وبقية النفر الأوائل

فهو يجعله أعظم الناس بيانا وحلما وامام قومه وبقية النفر الصالح والسلف الكريم ، ولاشك أنه تأثر بالقرآن الكريم فاشتمل بعض ما قاله على معان كثيرة من القرآن الكريم وانظر الى ما قاله فى الأبيات التالية تتضح الأفكار والمعانى القرآنية :

لله نافلة الأجل الأفضل
وله العلى وأثبت كل مؤثل
لا يستطيع الناس محو كتابه
أنى وليس قضاؤه بمبدل

---

(٣٧) الصناعتين ص ١١٣ تحقيق على البجاوى ، محمد أبو الفضل
(٣٨) الديوان ص ١٣٠ .

سوى فأغلق دون ثمرة عرشه
سبعا طباقا فوق فرع المثقل
والأرض تحتهم مهادا راسيا
ثبتت حوالقها بصم الجندل
والماء والنيران من آياته
فيهن موعظة لمن لم يجهل
بل كل سعيك باطل الا التقى
فاذا انقضى شيء كأن لم يفعل

والشاعر يستمد هذا المطلع من القرآن الكريم وما فيه من أوصاف الذات العلية وان كل ما يقع فى ملكه وعلى كونه انما هو بقضاء الله وقدره وان كل ما يحدث من عمل فى كتاب مبين وان الله سبحانه وتعالى سيجزى كل انسان بما سعى وسجل فى كتابه .

ففى هذا النص نجد الكثير منه يكاد يكون نظما لبعض آيات القرآن الكريم لا فى معانيه فحسب ولكن فى ألفاظه أيضا ، قال تعالى : « وكل شيء أحصيناه كتابا »(٣٩) .

وقال تعالى : « وكان أمر الله قدرا مقدورا »(٤٠) .

وقال تعالى : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(٤١) .

---

(٣٩) سورة النبأ الآية ٢٩ .
(٤٠) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .
(٤١) سورة يس الآية ٨٢ .

وقال تعالى : « الذى خلق سبع سموات طباقا ... »(٤٢) .

وقال تعالى : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا »(٤٣) .

فهو يكاد ينظم من معانى القرآن الكريم ، فهذه الآيات تشتمل على معان تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى وقضائه قال الله تعالى : « واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا »(٤٤) .

ويمضى لبيد فى القصيدة متأثرا بمعانى القرآن الكريم فيذكر ما حدث لبعض الأمم السابقة من ابرهة وأمراء المناذرة والغساسنة .

وعلى غرار ذلك يقول الشاعر(٤٥) :

من يبسط الله عليه اصبعا
بالخير والشر بأى أولعا

يملأ له منه ذنوبا مترعا
وقد أباد ارما وتبعا

وعلق الدكتور شوقى ضيف شاهدا له بقوله : « والحق أن تلاوته للقرآن التى اشتهر بها أثرت فى نفسه آثارا عميقة وأنه استشعر معانيه ومواعظه فمضى يجليها أبياتا وأشعارا بل قصائد دينية »(٤٦) .

---

(٤٢) سورة الملك الآية ٣ .
(٤٣) سورة النبأ الآية ٦ ، ٧ .
(٤٤) سورة الكهف الآية ٢٧ .
(٤٥) الديوان ص ٣٣٧ عن العصر الاسلامى ص٩٤ د/شوقى ضيف
(٤٦) العصر الاسلامى ص ٩٥ د/ شوقى ضيف .

وهنـــاك العديد من الأبيـــات التى تكاد تكون نظما لبعض آيات القـــرآن الكريم لفظا ومعان ومن ذلك قوله :

انما يحفظ التقى الأبـــرار والى الله يستقر انقرار(٤٧)

فالشطر الثانى من البيت يكاد يكون نظما لقوله تعالى : « الى ربك يومئذ المستقر »(٤٨) .

وكذلك قوله فى مطلع قصيدة له يرثى بها أخاه أربد(٤٩) :

ان تقوى ربنا خـــير نفـــل وباذن الله ريثى وعجـــل

فالشـــطر الأول هـــو نظم لقوله تعـــالى : « ان خـــير الزاد التقـــوى »(٥٠) .

وقـــوله :

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

فهذا البيت هو نفس قوله تعالى : « من يهد الله فهو المهتد »(٥١) وقوله تعالى : « ان الله يضل من يشاء »(٥٢) .

---

(٤٧) الديوان ص ٤١ .
(٤٨) سورة القيامة الآية ١٢ .
(٤٩) الديوان ص ١٧٤ .
(٥٠) سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(٥١) سورة الكهف الآية ١٧ .
(٥٢) سورة فاطر الآية ٨ .

وقـــوله(٥٣) :

أحمـد الله فلا نـد لـه بيده الخـير ما شـاء فعل

فقوله : « فلا ند له » هو نظم لمعانى قوله تعـالى : « لم يكن له كفوا أحـد »(٥٤) •

والشطر الثانى هو نفس معنى قوله تعالى : « بيدك الخير انك على كل شىء قدير »(٥٥) •

ومن هنا ومن خلال ما ذكر ونحن لم نستقص بالطبع ما ورد من ذلك فى شعر لبيـد لأنا لم نرد أكثر من الاستدلال والتمثيل •• وليس يمكننا تصديق أن يقال ان هـذا من الشعر الجاهلى لأنا ان صـدقناه نعترف بوجود كثير مما عارضه القرآن الكريم ونفاه ونهىء للقول بعدم الاعجاز القرآنى »(٥٦) •

واذا كان الأمر كذلك ومن خلال ما ذكر نقول : ان لبيدا استطاع أن يصوغ هـذه المعانى الدينية من معانى الدين الاسلامى ومفاهيمه خلاف ما كان يفرض عليه فى حياته البدوية » •

وهـذا ما جعل بعض الباحثين يقول : « وعندى ان لبيـدا كان مجددا فى بعض معانى الشعر وأفكاره وخاصـة فى معانيه الدينيـة والحكمية وفى دعوته الى تنقيـة الحيـاة من رواسب التمزق والأنم

---

(٥٣) الديوان ص ١٣٩ •

(٥٤) سورة الاخلاص الآية ٤ •

(٥٥) سورة آل عمران الآية ٢٦ •

(٥٦) الشعر الاسلامى ص ٨٨ د/ عبد السلام عبد الحفيظ •

والانتقال بها الى منابع صافية نقية ... وفى بعض قصائد لبيد أفكار خالدة انسانية أخلاقية تبنى الانسان وتوجهه وهى ثمرة تجارب غنية خبر فيها الشاعر الحياة ورأى تناقضها فاندفع بحس اجتماعى الى الدعوة الى الخير والفضيلة والتعاون(٥٧) .

وهذه هى مبادىء الدين الاسلامى الحنيف فكيف بعد كل ذلك يمكن القول بأنه لم يقل فى الاسلام شعرا الا بيتا واحدا ، فلمن يكون هذا الشعر وهذه النصوص « وليس أمامنا الا أن نفترض ان هذا الشعر لم يقله لبيد ــ أصلا ــ وانما قيل فى عصور متأخرة ، ونحله لبيد وهو ما ليس لنا دليل عليه ولا يمكننا اثباته واما أن نفترض ان لبيدا قد قاله ولكن فى مرحلة من مراحل حياته الاسلامية وهو ما تؤكده النصوص الواردة والشعر المدون ، وعندئذ يسقط القول بأن لبيدا لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا ليثبت انه قال كثيرا واستمر يقول حتى ضعف عنه »(٥٨) .

ومن هنا يمكن أن نقول فى اطمئنان ان الشاعر لبيدا قال شعرا كثيرا فى الاسلام وتأثر بالقرآن الكريم وكما كان للقرآن الكريم أثره فى النصوص التى ذكرت من حيث ما جاء فيها من معان جاهلية كان له أثر فى خلق معان جديدة تناولها الشعراء من قبل فتصرف فيها وهذبها وزاد فيها أو نقص منها ووضعها فى مواضع تتناسب مع الاسلام

---

(٥٧) لبيد بن ربيعة العامرى ص ١٥٧ ــ ١٥٨ حسن جعفر دار الكتب العلمية بيروت .

(٥٨) الشعر الاسلامى ص ٨٨ د/ عبد السلام عبد الحفيظ مطبعة قاصد خير .

ومبادئه السامية بحيث أصبحت تلائم كل الأذواق ، وفى كل العصور بعد أن كان منها ما لا يسمح لها بالبقاء الا فى العصر الجاهلى الذى له ذوقه الخاص ومبادئه الخاصة به ، ومن يستطيع أن ينكر أثرا للمعانى القرآنية فى هذا الشعر لا يستطيع أن تصل اليه العقلية الجاهلية أو أن تصوغ هذه المعانى فيودعونها أشعارهم وما أظن أن ثمة حاجة الى الاستشهاد على ذلك ونحن لم نستقص بالطبع ما ورد من أشعار ، وعلى فرض أو حدثنا التاريخ بأن قريبا من تلك المعانى قد تحدث به العرب فى الجاهلية وسمت اليه أفكارهم كالذى روى عن قس بن ساعدة وخلافه فهذا كما قيل : « كان مقصورا على أفراد قلائل وكان محصورا فى دائرة ضيقة فلم يكن يدركه سواهم ، ولم يكن فيه ما يغريهم بالاقبال عليه لأنهم يوم ذاك لم يكونوا قد استعدوا له ولا تهيأوا لقبوله »(٥٩) .

---

(٥٩) أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ص ٩٤ د/ أحمد حسن الباقورى .